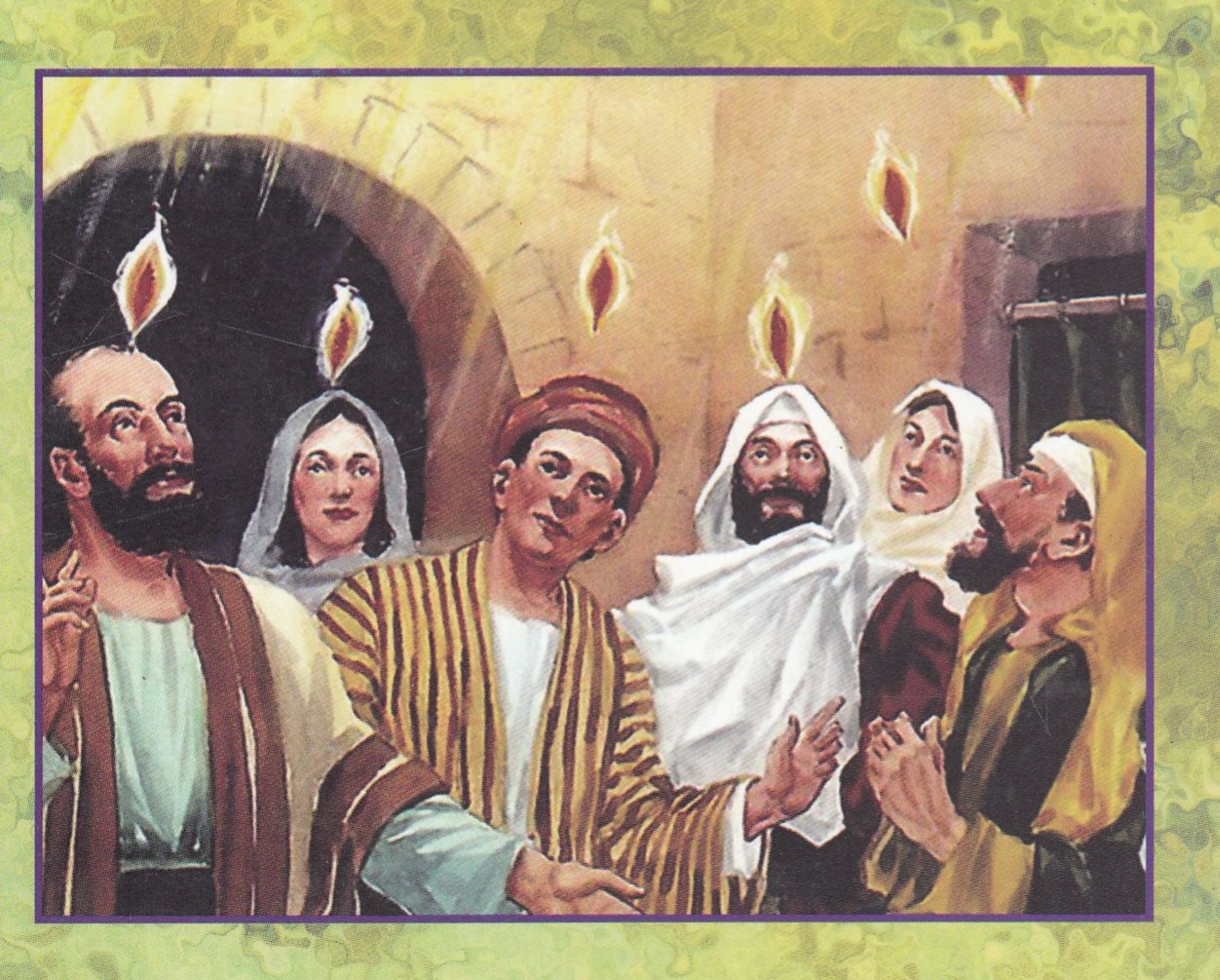
دراسة في

سفر أعمال الرسل



ف. ب. هول

دراسة في

سفر أعمال الرسل

ف. ب. هول

ترجمة

رشدي ميخائيل

الطبعة الأولى

٢٠١١

دراسة في سفر أعمال الرسل

بقلم : ف. ب. هول

ترجمة : رشدي ميخائيل

الناشر : دار الإخوة للنشر

يطلب من: مكتبة الإخوة ٣ ش أنجه هانم ـ شبرا مصر ـ ت: ٢٥٧٩١٢٤٨

وفروعها:

مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي ـ تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية: ٦ ش الفسطاط ـ كليوباترة ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيا: ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦

أسيوط: ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

رقم الإيداع : ٥٠٠٦/ ٢٠١١

الترقيم الدولي : 978-977-321-238-1

هول، ف. ب.

دراسة في سفر أعمال الرسل/ ف. ب. هول؛ ترجمة رشدي ميخائيل

ـ ط١ ـ القاهرة: دار الإخوة للنشر، ٢٠١١

١٦٠ص؛ ٢٠ سم.

تدمك : ١ـ ٢٣٨ ـ ٣٢١ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

١ـ الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ أعمال الرسل

أ . ميخائيل، رشدي (مترجم)

ب. العنوان ٢٢٦,٦

رقم الإيداع : ٥٠٠٦ / ٢٠١١

المحتويات

سفر

أعمال الرسل

الأصحاح الأول

من كلماته الافتتاحية، يتضح لنا أن "سفر أعمال الرسل" مرتبط بشكل واضح جلي مع "إنجيل لوقا". فهو موجَّه إلى نفس الشخص «ثاوفيلس». وفي الأصحاح الأول من سفر "أعمال الرسل"، تُستأنف القصة عند النقطة التي انتهى إليها "إنجيل يوحنا" باستثناء أن هناك تفاصيل إضافية قليلة عن كلمات الرب بعد القيامة. كما أن وصف صعود الرب يسوع كُرر بشكل مختلف نوعًا ما. إن "إنجيل لوقا" يوصلنا إلى قيامة الرب وصعوده، أما «سفر الأعمال» فيبدأ من تلك الحقائق المجيدة، وينقلنا إلى ما بعدها وما ترتب عليها.

في الآية الأولى من "سفر الأعمال" يصف لوقا إنجيله بأنه "إنشاء" (بحث علمي، مَبْحَث *treatist*) «عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله، ويعلّم به» (أعمال١: ١). وكلمة «ابتدأ» جديرة بالملاحظة، فهي تشير إلى أن «ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به» لم ينقطع بارتفاع يسوع إلى ما هو أبعد من مدى رؤية الناس. فسفر "أعمال الرسل" يقدّم لنا ما استمر «يسوع يفعله»، بسكب الروح

القدس من عند الآب، لكي يعمل بواسطته في الرسل والآخرين. وفي الوقت نفسه نكتشف بقراءة الرسائل ما استمر «يسوع» «يعلّم به» عن طريق الرسل في الوقت المعيَّن. وقبل ارتفاعه «أوصى (أعطى توجيهات) بالروح القدس الرسل الذين اختارهم» (الآية٢)، مع أن الروح القدس لم يكن قد أُعطى لهم بعد. في إنجيله، قدَّم لنا "لوقا" الرب كالإنسان الكامل، الذي يعمل دائمًا بقوة الروح القدس، وفي الضوء نفسه نراه هنا في سفر الأعمال.

وفي مدة الأربعين يومًا «أراهم ... نفسه حيًا» ــ أي انتصاره على الموت. وهكذا «ببراهين كثيرة» أثبت قيامته (الآية٣). وأثناء هذه الظهورات لتلاميذه، تكلم معهم عن «الأمور المختصة بملكوت الله»، و«أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب (حلول الروح القدس عليهم)» (الآية٤). فيوحنا، الذي عمَّد بالماء، قد أشار إليه باعتباره الذي يُعمِّد بالروح القدس» (يوحنا١: ٣٣)، وأكد لهم الرب يسوع أنهم سينالون هذه المعمودية «ليس بعد هذه الأيام بكثير» (الآية٥).

لقد تكلم الرب معهم عن «الأمور المختصة بملكوت الله»، أما هم فكانت أفكارهم لا تزال مشغولة بِردّ المُلك إلى إسرائيل (الآية٦). وقد شابهوا في هذا التلميذين اللذين كانا متجهين إلى عمواس (لوقا٢٤: ١٣-٣٥)، ولو أنهم الآن كانوا قد عرفوا أنه قد قام.

وسؤالهم هذا أعطى الرب الفرصة ليكشف عن برنامج التدبير الذي بدأ، ومرة ثانية نرى كما رأينا في لوقا٢٤؛ أن محور البرنامج ليس إسرائيل بل المسيح. وحلول الروح القدس سيعطيهم قوة، لا لكي يستردوا المُلك لإسرائيل، بل ليكونوا له شهودًا ــ «إلى أقصى الأرض» (الآية٨). والدوائر الأربعة

للشهادة، المذكورة في نهاية الآية٨، تعطينا طريقة (من ضمن طرق) لتقسيم هذا السفر؛ ونبدأ بالشهادة في أورشليم، ثم إلى نهاية الأصحاح السابع من هذا السفر، ننشغل بتلك المدينة وبمنطقة "**اليهودية**". ثم تأتي "**السامرة**" في الأصحاح الثامن. وفي الأصحاح التاسع يُدعى للخدمة الرجل الذي حمل الإنجيل إلى الأمم، وفي الأصحاح الثالث عشر من سفر الأعمال تبدأ الإرسالية **«إلى أقصى الأرض»**.

ويبدو أن هناك تناقضًا بين الآية٧ **«ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه»**، وبين ما قاله "بولس" في ١تسالونيكي٥: ١، ٢ **«وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم ... أن أكتب إليكم عنها. لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق، أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء»**. ولكن هناك كانت المسألة أنهم كانوا يعرفون جيدًا ما سيحدث في تعامل الله مع الأرض: ولكن المسألة هنا هي أنه ليس لنا أن نعرف "متى"، حيث إن هذه **«الأوقات والأزمنة ... جعلها الآب في سلطانه»** (أي هي من اختصاصه وحده). وواجبنا أن نكون شهودًا مُخلصين مُثابرين للمسيح. أما ما الذي ستحققه هذه الشهادة، فهذا لا يُذكر بوضوح إلا عندما نصل إلى أعمال١٥: ١٤ **«كيف افتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعبًا على اسمه»**.

«ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم» (الآية٩) — وبالتأكيد هي السحابة المذكورة في لوقا٩: ٣٤ التي أخفت الرب عن عيون التلاميذ في حادثة التجلي. و**«إذا رجلان قد وقفا بهم»** (الآية١٠)، ليكملا إعلانه الذي نطق به من لحظات. كانت إرساليتهم أن يكونوا شهودًا للمسيح المُقام، ولكن رجاءهم كان في عودته، كما رأوه منطلقًا إلى السماء. لم يكن انطلاقه

وَهْمًا ولا خيالاً بل حقيقيًا وحرفيًا «ارتفع وهم ينظرون» (الآية٩). ومجيئه سيكون حقيقيًا وحرفيًا بنفس الطريقة «سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء» (الآية١١).

وقد مرت عشرة أيام قبل أن يحل الروح القدس، ويُخبرنا بقية الأصحاح عن كيف شُغلت أيام الانتظار تلك. كان عدد التلاميذ المُخلِصين حوالي مائة وعشرين تلميذًا، وكانت الصلاة والطِلبة تشغل وقتهم (الآية١٤). ولم يكن ممكنًا أن تكون هناك شهادة، إلا بعد أن يُعطى الروح القدس، ولكنهم كانوا في اتكال تام على الله.

وأيضًا، كانوا يدرسون كلمة الله، ويطبّقونها على الوضع الذي هم فيه، فقد فتح الرب أذهانهم لكي يفهموا الكتب، كما هو مُسجّل في لوقا٢٤: ٢٧. وما يلفت الانتباه أن بطرس هو الذي أمسك بزمام المبادرة في هذا الأمر. فهو نفسه الذي أخطأ بشكل مُحزن منذ نحو ستة أسابيع. إلا أن هذا يبين أن الرب أقامه من سقطته (استرده) بالتمام، واستطاع أن يجمع أجزاء من مزمور٦٩: ٢٥ ومزمور١٠٩: ٨ بهذه الطريقة الرائعة «لتصير داره خرابًا ... وليأخذ وظيفته آخر» (الآية٢٠).

وكلمة «وظيفته» هنا تُترجم "خدمة". "فالخدمة والرسالة" (أو الخدمة الرسولية) كانت هي القضية، كما تبين الآية٢٥ من هذا الأصحاح. ومن الواضح أن الآيتين ١٨، ١٩ ليست كلمات بطرس، بل هي جزء اعتراضي أضاف فيه "لوقا" تفاصيل إضافية عن النهاية الرهيبة ليهوذا.

وكان الشرط الأساسي للرسول أن يكون له معرفة شخصية بالمخلِّص المُقام. فكان يجب أن يكون الرسول قادرًا أن يشهد عن المخلِّص على أساس

أنه رآه شخصيًا في قيامته: ومن هنا جاء السؤال الاستنكاري الثالث للرسول بولس في ١كورنثوس٩: ١ «**أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟**». فقد رآه "بولس" ليس في مدة الأربعين يومًا، ولكن فيما بعد في كل مجده. إلا أنه، من البداية، كان يجب أن يكون الرسل الشهود اثنا عشر، وقد اُختير «متياس». وقد لجأوا إلى ممارسة من العهد القديم وهي إلقاء القرعة: أما الإرشاد (التوجيه) المباشر الذي نقرأ عنه في أعمال١٣: ٢ «**قال الروح القدس إفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه**»، فلم يكن ممكنًا أن يحدث إلا بعد حلول الروح القدس.

الأصحاح الثاني

عندما نقرأ الأصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين، نستطيع أن نرى أنه كما كان عيد الفصح إشارة نبوية لموت المسيح، هكذا كان عيد الخمسين إشارة نبوية عن مجيء الروح القدس، الذي بقوته أمكن أن تُقدَّم إلى الله «**تقدمة جديدة**»، التي تتكون من رغيفين من باكورة الحصاد (خبز الباكورة) - وهو إشارة إلى المختارين من اليهود والأمم، المُقدَّسين بالروح القدس، والذين منهم تم تكوين الكنيسة. وكما تحقق ما كان عيد الفصح يُشير إليه في يوم الفصح، تحقَّق ما كان عيد الخمسين يُشير إليه في يوم الخمسين. لقد حلّ الروح القدس على يسوع «مثل حمامة» (يوحنا١: ٣٢): أما على التلاميذ فكان «كصوت كما من هبوب ريح عاصفة» (الآية١) و«كالسنة منقسمة كأنها من نار» (الآية٢). وصوت الريح يتعامل مع الأذن، ويذكرنا «بنفخة الرب» التي تتكلم عنها يوحنا٢٠: ٢٢. والألسنة التي كأنها من النار تتعامل مع العين، وكانت فريدة تمامًا في نوعها. الريح ملأ كل البيت، أما الألسنة فاستقرت على كل واحد

منهم. ويمكن أن نربط القوة الداخلية مع الأول، أما التعبير عن القوة بالألسنة المتعدّدة التي أعطى الروح القدس النطق بها فنربطه مع الثاني. عندما جاء الرب يسوع كان مسموعًا منظورًا وملموسًا، كما شهد يوحنا (١يوحنا١) «الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا». ولكن عندما جاء الروح كان مسموعًا ومرئيًا فقط، وبهذه الطريقة الغامضة.

ومن المهم أن نُفرّق من البداية بين الحقيقة العظمى عن وجود الروح القدس، وبين "علامات" و"مظاهر" وجوده، التي تتنوع بشكل كبير. هذه هي عطية الروح القدس؛ المُشار إليها في يوحنا ٧: ٣٩؛ يوحنا ١٤: ١٦، ولكن، حيث إن اليهود هنا هم المعنيون، فإن انسكاب الروح على المؤمنين من الأمم (انظر أعمال١٠: ٤٥) كانت عملاً مُكمّلاً لهذا. وبعد حلوله، فإن الروح يسكن في القديسين طوال هذا التدبير. ونتيجة لانسكابه هنا، امتلأ الجميع من الروح القدس، وبذلك صار مُسيطرًا تمامًا على كل منهم.

كما يجب أن نفرّق بين هبة (عطية) الروح القدس، وبين الامتلاء بالروح القدس، حيث إنه يمكن حدوث الأولى دون الثاني، كما سنرى فيما بعد. أما هنا، فقد حدث كلاهما معًا.

وأولئك الذين جاء (حلّ) عليهم الروح القدس، كانوا أُناسًا مصلّين، وقد تمثلوا بالرب في هذا. كما كانوا «بنفسٍ واحدة»، وبالتالي كانوا مجتمعين في مكانٍ واحد. ولم يُحدَّد المكان؛ ربما كانت هي "العِلية" المذكورة في أعمال١: ١٣، ولكن من المُحتمل أكثر، نظرًا لضخامة الجمهور الذي سمع الألسنة التي نطقوا بها بالروح القدس، أنه كان أحد أروقة الهيكل، مثل «رواق سليمان». على أيّة حال، فإن ما حدث كان حقيقيًا وذا سلطان لا يمكن إخفاءه.

وقد كان، إلى حدٍ ما، عكس ما حدث في "بابل" قديمًا. فهناك توقف بناء البرج العظيم، دليل على كبرياء الإنسان وتمرّده، ببلبلة الألسنة، أما هنا فقد أعطى الله إشارة بدء بنائه الروحي العظيم، بالسيطرة على الألسنة وإخضاعه لها.

يمكن أن نرى تباينًا آخر في الحقيقة أنه عندما أُقيمت خيمة الاجتماع في البرية ودشَّنها الله بسحابة حضوره، بدأ في الحال يتكلم مع "موسى" عن الذبيحة. وهذا يُظهر لنا بالربط بين خروج٤٠: ٣٥ ولاويين١: ١، ٢. وفي أصحاحنا هذا نجد الله يُدشّن بيته الروحي الجديد بروحه، وأيضًا في الحال يتكلم بواسطة رُسله المُوحى إليهم. وسمع أُناس كثيرون من دول مختلفة بألسنتهم عن «عظائم الله» (الآية١١).

وتساؤلات الجماهير أعطت الفرصة للشهادة. وكان بطرس هو المتكلم باسم التلاميذ، مع أن الأحد عشر وقفوا معه يُساندون كلامه. وفي الحال وجّه السامعين إلى النبوات التي تفسّر ما يرونه. فيوئيل تنبأ أن الله سوف يسكب روحه على كل بشر، وأن هذا سيكون في الأيام الأخيرة التي لم تأتِ بعد (يوئيل٢: ٢٨-٣٢). وما حدث كان تحقيقًا جزئيًا لنبوة يوئيل، وليس تحقيقًا كُليًا. وقول بطرس «هذا ما قيل ...» (الآية١٦) يعني أنه من نفس طبيعة ما تنبأ به يوئيل، ولكن ليس بالضرورة كل وجميع ما تضمنته النبوءة. قال يوحنا المعمدان عن الرب يسوع: «هذا هو الذي يُعمد بالروح القدس» (يوحنا١: ٣٣). وقال يوئيل إنه بعد توبة إسرائيل والقضاء على أعدائهم، سيحدث انسكاب الروح هذا على كل بشر. وفي يوم الخمسين حدثت بشائر (باكورة) لهذا، بانسكاب الروح على نواة الكنيسة. هذا هو التفسير الصحيح لِما حدث. إنهم لم يكونوا سكارى بالخمر، بل مملوئين بالروح القدس.

ولم يتوقف "بطرس" عند هذا، بل استطرد ليبيِّن لماذا حدثت معمودية الروح هذه. إنها بفعل مباشر من يسوع الذي رُفع إلى يمين الله. هذا نجده عندما نصل إلى الآية ٣٣، ولكن من الآية ٢٢ أخذ بطرس يوجِّه أفكارهم وينتقل بها من مشاهد الصلب، إلى قيامة الرب وارتفاعه. فيسوع الناصري قد تأيد بشكل واضح من الله طوال أيام خدمته، ولكنهم قتلوه (ذبحوه) بأيديهم الآثمة. وقد أسلمه الله لهذا بمشورته المحتومة وعلمه السابق (الآية٢٣). لأن الله يعرف كيف يحوّل غضب الإنسان لمجده، وأن يتمم تدبيراته للبركة، مع أن هذا لا يلغي مسؤولية الإنسان عن هذا العمل.

والآية ٢٣ مثال واضح عن كيف لا يتصادم سلطان الله مع مسؤولية الإنسان، عندما تكون القضية هي النتائج العملية، مع أنه من الصعب علينا أن نوفق بين الاثنين من الناحية النظرية.

فما فعلوه مدفوعين بشرِّهم، أبطله الله منتصرًا. لقد اكتمل الصدام بين خطة الله وخطتهم. وكان هذا إنذارًا بسقوطهم وانقلابهم التام في الوقت المعيَّن، خاصةً أن القيامة كانت في فكر الله، وقد أنبأ بها مُسبقًا على فم داود في المزمور ١٦. ولم يكن ممكنًا أن كلام "داود" هذا يكون عن نفسه، لأنه دُفن وقبره كان معروفًا لهم في ذلك الوقت (الآية٢٩). وعندما تكلّم عن ذاك الذي لم تُترك نفسه في الهاوية (*hades*) ولا رأى جسده فسادًا، كان يتكلم عن المسيح (الآية٣١). وما قاله "داود" تحقق «فيسوع هذا أقامه الله ... و... ارتفع بيمين الله» (الآية٣٢، ٣٣).

«وإذ ارتفع بيمين الله، وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا..» على تلاميذه (الآية٣٣). في المعمودية (على يد المعمدان) تلقى المسيح الروح القدس

لنفسه، والآن تلقى نفس الروح القدس نيابة عن الآخرين كنائب (ممثـل) عـنهم، وبسكبه الروح القدس، عُمِّد هؤلاء الآخرون في جسد واحد، وصاروا أعـضاءه. وهذا ما نتعلمه من فصول كتابية لاحقة.

وفي الآيات من ٣٤ إلى ٣٦ ينتقل "بطرس" بحججه (جدله) خطـوة أخـرى يصل بها إلى الذروة. لقد تنبأ "داود" عن ربه، الذي كان لا بد أن يُرفَّـع إلـى يمين الله. فداود نفسه لم يُرفَّع إلى السماوت، ولا قـام مـن الأمـوات. وذاك الذي تكلم عنه "داود" كان سيجلس في كرسي المجد والـسلطان حتـى تُوضـع أعداؤه موطئًا لقدميه. ولذلك فختام الأمر كله هو أن: سـكب الـروح القـدس، الذي رأوه وسمعوه، بـرهن بـلا أدنـى شـك «أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا» (الآية٣٦).

فلكونه ربًّا، هو المُنفِّذ العظيم نيابة عن الله؛ سواء في البركـة أو الدينونـة، وسكب الروح القدس هو أحد أعمال سلطانه، والذي كشف عن ربوبيته.

ولكونه المسيح، فهو قد مُسِح رأسًا على كل شيء، وبصفة خاصة لخاصـته القليلة العدد المتروكين على الأرض. وقبوله الـروح القـدس مـن الآب مـن أجلهم، أساسًا لكي يسكبه على أحبائه، كشف عن كونه المسيح.

وكونه قد جُعل ربًّا ومسيحًا، يتفق مع أنه كانت له هاتـان الـصفتان أثنـاء وجوده على الأرض. فهاتان الصفتان كانتا له دائمًا، ولكـن الآن أُعطيتـا لـه رسميًا، كالإنسان المُقام المُمجد. وهي أخبار مُفرحة لنا، ولكنها أخبـار مُخيفـة للذين ارتكبوا جريمة صلبه. فهي ببساطة تؤكد دينونتهم الرهيبـة، إذا أصـروا على مسلكهم.

والروح القدس الذي انسكب على التلاميذ، بدأ الآن يعمل في قلوب كثير من السامعين. وعندما بدأوا يدركون الموقف اليائس الذي صاروا فيه بقيامة الرب، نُخسوا في قلوبهم، وصرخوا «ماذا نصنع»؟ (الآية٣٧). «فقال لهم بطرس، توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا الروح القدس» (الآية٣٨)؛ لأنه كما وَضح في الآية٣٩ فإن الوعد (الذي في "يوئيل") هو للتائبين من إسرائيل، ولأولادهم، بل وحتى للذين على بُعد (الأمم البعيدين)، كل مَن يدعوه الرب إلهنا. وهكذا، في أول عظة مسيحية (بعد تكوين الكنيسة)، أُعلن امتداد بركات رسالة الإنجيل إلى الأمم. وغفران الخطايا، وعطية الروح القدس، تحمل معها كل البركات المسيحية.

وقد يُثير تعجّبنا أن بطرس لم يذكر الإيمان. ولكنه في الحقيقة، يأتي ضمنًا في كلامه، لأن لا أحد يعتمد باسم يسوع المسيح إلا إذا كان مؤمنًا به. والمعمودية معناها الموت، وبالتالي الانفصال عن الحياة والارتباطات القديمة. وهم لن يقبلوا قطع صلتهم بالحياة القديمة، إلا إذا آمنوا حقًّا بذاك، الذي هو رب الحياة الجديدة. وبكلمات أخرى كثيرة، كان بطرس يشهد لهم، ويحرضهم على قطع الروابط القديمة، وبذلك يخلصون من ذلك «الجيل الملتوي» (الآية٤٠).

والإيمان كان موجودًا، «فقبلوا كلامه (كلام بطرس) بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس» (الآية٤١). من وقت قليل سابق كانوا واقعين تحت آلام وأحزان الانتخاس في قلوبهم (الآية٣٧)، والآن قبلوا رسالة الإنجيل، وقطعوا الارتباطات القديمة بالمعمودية. وإذ انفصلوا عن جمهور أُمتهم الذين صلبوا الرب، انضموا إلى المئة والعشرين الأصليين، الذين ازدادوا عددًا ٢٥ مرة في يوم واحد، هؤلاء لم يبدأوا فقط (مسيرة الإيمان) بل واصلوا المسيرة راسخين.

والأربعة أمور التي ميّزتهم، كما تقول الآية ٤٢ جديرة بالملاحظة، أولها مواظبتهم على «تعليم الرسل». وهذا هو الأساس لكل شيء. فالرسل هم الرجال الذين سبق أن قال لهم الرب «**وأما متى جاء ذاك؛ روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق**» (يوحنا١٦: ١٣). ولذلك، فتعليمهم كان ثمرة لإرشاد الروح. لقد تكوّنت الكنيسة، وأول شيء كان يميّزها هو الخضوع لتعليم الروح عن طريق الرسل. فالكنيسة لا تُعلِّم بل تتَعلم، وهي خاضعة للكلمة كما أعطاها الروح.

وبالمواظبة على «تعليم الرسل»، واظبوا أيضًا على الشركة مع الرسل؛ لقد وجدوا حياتهم العملية والشركة في صُحبة الرسل. قبل هذا كان كل شيء لهم مشتركًا مع العالم، والآن انتهت شركتهم مع العالم، وقامت محلّها شركة مع دوائر الرسل - والشركة الرسولية كانت «مع الآب، ومع ابنه يسوع المسيح» (١يوحنا١: ٣).

وقد واظبوا أيضًا على «كسر الخبز»، وهو علامة موت الرب، وهو في الوقت نفسه - كما نتعلم من ١كورنثوس١٠: ١٧ - تعبير عن الشركة «**لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد**». وهكذا، كانوا في تذكّر دائم لربهم الذي مات، وهذا حفظهم من العودة للشركة القديمة.

وأخيرًا، واظبوا على «الصلوات». لم يكن لهم قوة في أنفسهم، فكلها كانت في ربّهم القائم في الأعالي، وفي الروح القدس المُعطى لهم. ومن هنا، فإن الاعتماد الدائم على الرب كان ضروريًا للحفاظ على حياتهم الروحية وعلى شهادتهم.

هذه الصفات ميَّزت الكنيسة الأولى، ويجب أن تميز الكنيسة اليوم. أما الأشياء المذكورة في الآيات الختامية من الأصحاح فليس لها صفة الدوام. فالرسل قد مضوا ومعهم الآيات والعجائب. والاشتراكية المسيحية التي شاعت

في البداية قد مضت أيضًا، ومثلها المواظبة في الهيكل بنفسٍ واحدة ومعها النعمـــة (القبول) لدى جميع الشعب (الآيات من٤٣-٤٧). ولكنها كانت جميعًـــا بـــإرادة الله. وبيع الممتلكات أدّى إلى افتقار القديسين عندما جاءت سنو المجاعـــة بعـــد ذلـــك، وبذلك جاءت المناسبة لخدمة الإغاثة من كنائس الأمم (انظـــر أعمـــال١١: ٢٧-٣٠)، والتي ساعدت كثيرًا على ربط عنصري اليهود والأمم في كنيسة الله.

في ذلك الوقت، كانت هناك بساطة القلب، والابتهاج، ووحـــدة القلـــب، مـــع الكثير من التسبيح لله. «وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (الآية٤٧).

الأصحاح الثالث

"سفر أعمال الرسل" سفر تاريخي، ولكنه ليس مجرد تاريخ. فقـدر هائـل من خدمة الرسل لم تُسجَّل فيه، أما ما ورد ذكره فمجرد أحداث قليلة، تُفيد فـي بيان الطريقة التي عمل بها «الروح القدس» في الشهادة ليسوع الذي قام ورُفـع إلى الأعالي، وقيادته للرسل إلى ملء البركة في المسيح. ويغطّي الـسفر فتـرة انتقالية، تمتد من بداية الكنيسة في أورشليم، إلى اكتمال الحصاد من بين الأمم.

يبدأ هذا الأصحاح بشفاء الرجل الذي كان أعرجًا منـذ ولادتـه («من بطن أمه»)، والذي كان موضوعًا عند باب الهيكل «الذي يُقال له الجميل» («ليسأل صدقة من الذين يدخلون الهيكل») (الآية٢). ويُعرِّفنا الأصحاح التالي (أصـحاح ٤ : ٢٢) أن «**الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء هذه، كان له أكثر مـن أربعـين سنة**» ـــ أي أنه قد اكتملت فيه مدة الاختبار أو الامتحان. وذلك الرجل لم ينَـل الشفاء على يدي الرب يسوع عندما كان في الجسد، مع أن المسيح كثيـرًا مـا زار الهيكل وعلَّم فيه، ولكنه شُفيَ «باسم يسوع المسيح الناصري» المُمجَّد فـي

السماء (الآية٦). ولم يكن لدى بطرس فضة ولا ذهب ليتصدَّق بهما على الرجل، ولكن كان لديه قوة اسم يسوع المسيح، وبها شفى الرجل في الحال بشكل مُبهر. اليوم نجد الكثير من المؤمنين الغيورين مشغولين بجمع الفضة والذهب لمُساندة عمل الله، ولكنهم ــ في الوقت نفسه ــ يهملون استخدام قوة اسم يسوع المسيح. ولذلك فهذه الحادثة هي لتوبيخنا.

وبسبب إعاقته، كان ذلك الرجل عاجزًا بالنسبة لمطاليب معينة للناموس؛ أما الآن، وقد أزالت النعمة إعاقته وعجزه، استطاع أن يدخل الهيكل بدون معطلات. وبسبب تمسكه (تعلقه، مُلازمته) ببطرس ويوحنا (الآية١١)، لم يكن هناك سبيل لإخفاء الذين كانوا السبب في شفائه. وهذا أعطى بطرس فرصة الشهادة. وقد أنكر بطرس أن له أو ليوحنا أي فضل في ما حدث بقوله: «ماذا تشخصون إلينا، كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي» (الآية١٢)، هذا لكي يملأ يسوع المُمجَّد المشهد كله.

وشجاعة بطرس هنا مشهود لها، فقد اتهم الجمع بإنكار «القدوس البار» (الآية١٤)، مع أنه هو نفسه، لم تمر عليه إلا أسابيع قليلة منذ أنكر سيده. لقد كان مطروحًا على الشعب أن يختاروا بين «رئيس الحياة» (مَن يَهَب الحياة)، وبين «رجل قاتل» (ينتزع الحياة). فاختاروا أن يقتلوا «رئيس الحياة»، وطلبوا أن يوهب لهم «رجلٌ قاتل». ولكن الذي قتلوه أقامه الله من الأموات، وبذلك ثبتت عليهم جريمة التمرد على الله. كما أن الشفاء والصحة الكاملة مُنحت لذلك الرجل الأعرج، بقوة اسمه، بالإيمان (الآية١٦). لم يكن في إمكانهم أن يروا مجد يسوع في السماء، ولكن استطاعوا أن يروا المعجزة التي جرت باسمه على الأرض. فذلك الشفاء الذي جرى على الأرض، كان مرتبطًا

بالمجد الذي في السماء.

وتبيّن الآية ١٧ أن الله مستعد أن يعتبر جريمتهم البشعة خطية عدم علم ــ وهى ما وُضعت لها مدن الملجإ، وليس خطية قتل عمد (والتي لم يكن لها ملجأ ولا يُقبل عنها ذبيحة). هذا كان استجابة مباشرة لصلاة الرب يسوع على الصليب «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤). فبفعلهم الأثيم تمّم الله قصده «ما سبق وأنبأ به أن يتألم المسيح» (الآية١٨)، وبذلك، كان ما زال لهم كشعب عرض للرحمة. وقد قدّم بطرس هذه العرض كما ورد في الآيات من ١٩-٢٦ في الأصحاح الذي بين أيدينا. وكل شيء يتوقف على توبتهم ورجوعهم.

هل كان إشعياء ٣٥: ٦، ٧ في فكر بطرس وهو يتكلم عن "أوقات الفرج (الانتعاش)" (الآية٢٠)؟ لا نستطيع أن نجزم، ولكن لا بد أنه كان في فكر الروح القدس الذي تكلم على فم بطرس. فعندما «**يقفز الأعرج كالإيل**»، عندئذٍ «**تنفجر في البرية مياه، وأنهار في القفر**» (إشعياء ٣٥: ٥، ٦). ولكن كل هذا التجديد (الإنعاش) الذي تنبأ به إشعياء هو «لمفديي الرب»، وليس لأحد غيرهم. ولذلك، فالتوبة والرجوع الكامل إلى الله هو الذي سيأتي «بأوقات الفرج». وإذا حدث هذا، فسيُرسل الله يسوع المسيح لتتحقّق هذه الأوقات.

وقد استُخدِمت عبارة (أو مصطلح) «رد كل شيء» استخدامًا خاطئًا لتخدم فكرة أن الله سيخلّص ويسترد الجميع ــ حتى الشيطان نفسه! ولكن النص يقول: «أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله» (الآية٢١) فهي عن أشياء وليس أشخاص، وهي أشياء «تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر». **فالله سيُصلح كل ما فسد، وسيُقيم في المسيح كل شيء دُمّر بيدي الإنسان.** هذه

الأوقات لن تأتي حتى يأتي الرب يسوع نفسه، وحيث إنه هو النبي الذي تكلم عنه موسى، فكل شيء سيتم عندما يأتي «وكل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب» (الآية٢٣). وستأتي أيام بركة، لم يكن مثلها منذ تأسيس العالم.

بهذه الكلمات، إذًا، قدَّم بطرس عَرضًا محدَّدًا، بالنيابة عن الله، أنه إذا تاب الشعب في الحال ورجعوا إلى الله كأمة، سيعود يسوع ويُقيم أيام البركة المُتنبأ عنها. وأضاف في الآية الأخيرة أيضًا من الأصحاح، أنه مهما كانت استجابتهم، فإن الله «أقام فتاه يسوع، أرسله يباركهم بردّ كل واحد منكم عن شروره». وجميعنا نحتاج هذين الأمرين: أولاً، محو خطايانا قضائيًا، وثانيًا: ترك خطايانا، والتحول عنها، لكي تفقد سلطانها علينا.

الأصحاح الرابع

عندما نقرأ الآيات الأولى في هذا الأصحاح، نجد ردَّ رؤساء الشعب على العرض الذي قدّمه بطرس. فلأنَّ هذا العرض يقوم على قيامة الرب يسوع، فإنه يناقض بشكل خاص تعليم الصدوقيين، والكهنة الذين من مذهبهم. وأظهروا رفضهم غير المُبرَّر بالقبض على الرسل (الآية٣). إلا أن عمل الله وقوته المُغيِّرة استمرت كما تسجل الآية ٤ «وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا، وصار عدد الرجال (المؤمنين) نحو خمسة آلاف».

وفي اليوم التالي، عندما اُستُجوبوا أمام المجمع، وَجَد بطرس فرصة جديدة للشهادة، في إجابته على أسئلتهم عن «بأية قوة (سلطان)، وبأي اسم صنعتما أنتما هذا» (الآية٧). وكان ردّه عليهم «باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات ... وقف هذا (الرجل الأعرج) أمامكم صحيحًا» (الآية١٠). وأن مزمور١١٨: ٢٢ تحقَّق فيه «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية».

واستطرد بطرس ليوسّع الشهادة من ما هو خاص إلى ما هو عام. فقوة ذلك الاسم كانت ماثلة أمام عيونهم في حالة ذلك الأعرج الذي شُفيَ: وهي لا تعجز عن خلاص الناس جميعًا. والشفاء الجسدي لذلك الرجل الأعرج كان مجرد علامة عن الشفاء الروحي الذي يستطيع اسم يسوع أن يُجريه. فيسوع الناصري المُحتقَر هو الباب الوحيد للخلاص. «وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطى بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (الآية١٢).

وتبين الآيات من ١٣ إلى ٢٢، بشكل بارز، كيف ثبتت صحة شهادة بطرس. فالرسولان كانا عديمي العِلم وجاهلين حسب مقاييس العالم، ولكنهما كانا مع يسوع وشجاعين، وهذا أحرّج مجلس الكهنة، الذين كانوا يتلهفون لإدانتهما، إلا أن ثلاثة أمور منعتهم:

١- «لم يكن لهم شيء يُناقضون به» شهادة بطرس (الآية١٤).

٢- كانوا مضطرين للاعتراف «لا نقدر أن ننكر» شفاء الأعرج (الآية١٦).

٣- «لم يجدوا البتة كيف يعاقبونهما» (الآية٢١).

وعندما يريد الناس أن يناقضوا شيئًا، فإنهم عادةً ينكرونه، إذا أمكن ذلك. وإذا لم يكن ذلك متاحًا لهم، فإنهم يحاولون تجريحه، وتشويهه إذا لزم. وأخيرًا، إذا لم يستطيعوا هذا، فإنهم يُحَوّلون هجومهم إلى الأشخاص المعنيين به، بتشويه صورتهم، وعقابهم. وقد كانت هذه الأساليب الثلاثة معروفة في ذهن رؤساء الكهنة، ولكن كل هذا انهار لأنهم كانوا يقاومون الله. وكل ما استطاعوا أن يفعلوه هو أن هدّدوهما، وحظروا عليهما «أن يكلما أحدًا من الناس فيما بعد بهذا الاسم (اسم يسوع)» (الآية١٧). ولكن بطرس رفض هذا التحذير، حيث إن الله أمرهم أن يكرزوا باسم يسوع. وحيث إن الله له

السلطان الأعلى، ينبغي أن يطيعوه لا أن يطيعوهم هم.

ثم تأتي في الآيات من ٢٣ إلى ٣٧ صورة جميلة عن الكنيسة الأولى في أورشليم. فبعد أن أخلى مجلس الكهنة سبيل الرسولين «أتيا إلى رفقائهما» (الآية٢٣).

هذا يبين لنا أن الكنيسة في بدايتها كانت جماعة تربطها الشركة، متميِّزة ومنفصلة عن العالم، ومنفصلة أيضًا عن عالم الديانة اليهودية. هذه النقطة تحتاج إلى التأكيد عليها هذه الأيام، حيث اختلط العالم والكنيسة معًا إلى حدٍ كبير.

لقد وجدت الكنيسة الأولى سَنَدها في الصلاة. وفي الأزمات كانوا يلجأون إلى الله وليس الناس. ربما كانوا يتمنون مجلسًا للكهنة لا يسيطر عليه الصدوقيون، وأن يتخذ موقفًا أكثر تحررًا وانفتاحًا، ولكنهم لم يقلقوا بشأن هذا؛ فقد كانوا ببساطة يطلبون وجه الله، صاحب السلطان الأعلى على كل البشر.

وفي صلاتهم أُقتيدوا إلى كلمة الله. فالمزمور الثاني كان يُلقي بضوئه على الموقف الذي يواجههم. ومع أن تفسيره يرتبط بآخر الأيام، لكنهم رأوا أنه ينطبق على أيامهم أيضًا. وكانت الكنيسة الأولى تتميز بالخضوع لكلمة الله، إذ وجدوا فيها كل النور والإرشاد الذي يحتاجونه. وهذا أيضًا ملمح هام، وفيه توجيه لنا.

كما تَميّزوا أيضًا بأن اهتمامهم الأكبر كان بكرامة اسم يسوع وليس براحتهم ويُسرهم. وهم لم يطلبوا أن يتوقف الاضطهاد والمقاومات، بل أن يتكلموا بكلام الله بكل مجاهرة (الآية٢٩)، وأن تُجرى آيات وعجائب تُعلّي اسمه. فالكنيسة هي المكان الذي يجد فيه هذا الاسم كل الإعزاز والاعتزاز.

ونتيجة لهذا، ظهرت قوة الروح القدس بشكل غير عادي. فامتلأ الجميع من الروح القدس، وتزعزع (اهتز) المكان المجتمعين فيه، واستُجيبت صلاتهم أن يتكلموا بكلام الله بمجاهرة (الآية٣١)، ليس هذا فقط، بل أن ما لم يطلبوه مُنح لهم؛

فقد «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» (الآية٣٢). هذا بالطبع، نبع من الحقيقة أن «الروح الواحد» كان يملأ كل واحد منهم. ولو امتلأ المؤمنون هذه الأيام بالروح الواحد، لكان طابعهم وحدة النفس (الفكر والمشاعر) والقلب. وليس هناك من طريق آخر يمكن أن تتحقق به هذه الوحدة.

ومن هذا أيضًا نبع الملمح الثاني الذي تتكلم عنه الآية ٣٣؛ كانت هناك قوة عظيمة في شهادة الرسل للعالم. لم تكن الكنيسة كلها تكرز، بل كانت بعد أن امتلأت بالنعمة والقوة، تُساند الذين يكرزون. فالكرازة إذًا – وهي دائمًا كذلك، في أيدي الذين دعاهم الله ليقوموا بذلك، ولكن القوة التي أدّوها بها تأثرت، إلى حدٍ كبير، بالحالة التي تميز الكنيسة كلها.

والآيات الختامية (٣٤-٣٦) تُبين أنه كما كانت هناك شهادة قوية تتجه للخارج، كان الحب والرعاية يغمران الداخل. فالاشتراكية المسيحية التي ذُكرت في نهاية الأصحاح الثاني، كانت لا تزال مستمرة. «وكان يوزع على كل أحد كما يكون له احتياج» (الآية٣٥). لم تُسَّد مطالب الناس بل احتياجاتهم الفعلية، ولذلك «لم يكن فيهم أحد محتاجًا» (الآية٣٤). وفي وقت لاحق استطاع "بولس" أن يقول «تدربت أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص (أحتاج)» (فيلبي ٤: ١٢)، ولكن في ذلك الوقت، لم تكن تلك الخبرات معروفة للقديسين في أورشليم. فهل، مع نقص هذه الخبرات، استغل هؤلاء المؤمنين الوضع بخلاف ما حدث مع بولس؟ قد يكون هذا سؤالاً مفتوحًا، مع أننا نميل أكثر إلى أن هذا لم يحدث معهم. على أية حال، فإن تصرف "برنابا" «إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل» (الآية٣٦) هو نموذج رائع، والحب والرعاية التي توافرت في الكنيسة الأولى يجب أن تتوافر اليوم، مع أن أسلوب التعبير عنهما قد يختلف.

الإصحاح الخامس

يبدأ هذا الأصحاح بحادثة مُحزنة، تُظهِر في صورة بـارزة ملمحًـا أخيـرًا ميَّز الكنيسة الأولى وهو ممارسة "**التأديب المقدس**" بالسلطان الله. كانت حالـة "حنانيا وسفيرة" حالة استثنائية بلا شك. وعندما يؤسّس الله شيئًا جديـدًا، يبـدو أن أسلوبه لإظهار قداسته وهيبته، هو أن يجعل من أي شخص يتعدى على هـذا الأمر عبرة للآخرين. لقد فعل هذا مع الرجل الذي كسر الـسبت فـي البريـة (انظر سفر العدد ١٥: ٣٢- ٣٦)، وأيضًا مع "عخان بن كرمي" عنـدما "**أخـذ .... من الحرام**" (انظر يشوع ٧)، وكذلك مع "حنانيا وامرأته سفيرة" هنا. ولكن فيمـا بعد في تاريخ إسرائيل كسر كثيرون الـسبت، وأخـذ آخـرون مـن الأشـياء الشنعارية المُحرَّمة؛ دون أن توقَّع عليهم عقوبات مُماثلة، كما أنه علـى امتـداد تاريخ الكنيسة كذب الكثيرون بالفعل أو القول دون أن يسقطوا موتى.

وقد كان وراء الكذب في حالة "حنانيا وسفيرة" الخطيئتـان التـوأم، الطمـع وحب التظاهر. لقد أراد حنانيا أن يحتفظ بجزء من ثمـن الحقـل لنفـسه، وأن

يُظهر في نفس الوقت أنه كرَّس كل شيء للرب، كما فعل برنابا (ولكن بإخلاص وعن طيب خاطر دون كذب). هذا هو فكر الجسد (*the mind of the flesh*)، حتى في القديس. وكم منا لم يتعرض لتأثير شرور مُماثلة في قلبه؟ ولكن في هذه الحالة، كان الشيطان هو العامل، وقد دفع الزوجين التعيسين إلى تصرف فيه تحدٍّ مباشر للروح القدس الحال في الكنيسة. وقد قَبِلَ الروح القدس التحدي، وأظهر وجوده بهذه الطريقة المؤلمة التي لا يمكن أن تفوت أحد. وقد أعلن بطرس أن هذا هو الوضع، عندما كشف لسفيرة أن تصرّفهما هذا، هو اتفاق على تجربة روح الرب (الآية٩).

وكانت النتيجة هو تحول تحدي الشيطان إلى خدمة لله وإنجيله، كما تبين الآيات التالية. فأولاً، هذه الحادثة أوقعت خوفًا عظيمًا على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك (الآية١١). وهذا شيء يُعوز الكنيسة اليوم، ناهيك عن الناس بصفة عامة. وخوف الرب أمر صحي جدًا في قلوب القديسين، وهو يتفق تمامًا مع الإدراك العميق لمحبة الله. ولقد شعر بولس بتلك المخافة في ضوء الوقوف أمام كرسي المسيح (٢كورنثوس ٥: ١٠، ١١)، ولو أنه بالنسبة لغير المؤمن يتجاوز المخافة إلى الرعب الحقيقي، وعلينا أن نسعى جميعًا إلى مخافة الرب هذه النابعة من إدراك عميق لقداسة الله.

بعد ذلك، وكما يبين الجزء الأول من الآية ١٢، ومعه الآية ١٥، ١٦، فإنه لم يحدث تراجع في قوة الله المعجزية، التي جرت على أيدي الرسل؛ بل في الحقيقة أن هذه القوة تزايدت، حتى أنَّ مجرد ظل بطرس كان يُجري المعجزات. وفي الجزء الاعتراضي (الآيات١٢-١٤) نقرأ أنه بعد وقوع هذه الحادثة، لم يكن غير المؤمنين يجسرون أن يلتصقوا بجماعة المؤمنين، ولكن

هذا لم يكن خسارة حقيقية، لأنها منعت أي حركة جماهيرية من أن تُدخِل الزيف إلى الكنيسة. أما عمل الله الحقيقي فاستمر دون إعاقة، كما تبين الآية ١٤. قد ينضم إلى الكنيسة أُناس مُدّعين، ولكن لا ينضم إلى الرب إلا الذين عمل الرب فيهم عملاً فعالاً. وهكذا تحولت الحادثة المُحزنة لحنانيا وسفيرة إلى خير، مع أنها قد تبدو للمراقب السطحي ضربة قوية لمستقبل الكنيسة.

وبعد أن عمل الله للبركة بهذه الطريقة العجيبة، نرى في الآية ١٧ الضربة المناهضة التالية من الشيطان. فالكهنة والصدوقيون إذا امتلأوا حنقًا، ألقوا القبض مرة ثانية على الرسل. وكان رد الله أن أرسل ملاكًا ليفتح أبواب السجن ويطلق سراحهم. وفي اليوم التالي، عندما اكتُشف خروجهم من السجن، قُبض عليهم، ولكن بطريقة مهذبة أكثر. وتعترف كلمات الكهنة بالقوة التي كان الله يعمل بها، لأنهم يعترفون «ها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم»، ولكن قساوة قلبهم الرهيبة ظهرت في قولهم «وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان» (الآية٢٨). أليس هم الذين قالوا «دمه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٧: ٢٥)؟ والحقيقة هي أن الله كان على وشك أن يأخذهم بما نطقت به أفواههم.

وكان رد بطرس قصيرًا وبسيطًا «ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس» (الآية٢٩). ثم مرة ثانية، لخَّص شهادتهم وكررها. «ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضًا» (الآية٣٢)، عن قيامة يسوع «الذي أنتم قتلتموه» ولكن «إله آبائنا أقام يسوع... ورفَّعه الله بيمينه»، لا ليكون ديانًا هذه المرة، يصب اللعنة على رؤوسهم الآثمة، بل «رئيسًا ومخلصًا ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا» (الآية٣١). والتوبة وكذلك الغفران ينظر إليهما هنا باعتبارهما عطية (هبة) منه.

ومع أن الرحمة والغفران كانا محور رسالة بطرس، إلا أن المُناداة بهما ملأهم حنقًا (الآية٣٣). فالرحمة تفترض أن هناك خطية وذنب أُرتكب، وهذا لم يكونوا مستعدين أن يعترفوا به، ولذلك «جعلوا يتشاورون أن يقتلوهم» (الآية٣٣)، والشيطان وهو قتّال منذ البدء، ملأ قلوبهم بالرغبة في القتل. إلا أن الله لديه عدة طرق ليُبطل الخطط الشريرة للإنسان. وفي هذه القضية استخدم الله الحكمة البشرية "لغمالائيل"، الذي كان شاول الطرسوسي تلميذاً له، وكان مُكرَّمًا عند جميع الشعب (الآية٣٤).

وقد استشهد "غمالائيل" بحالة شخصين، كانا قد زعما أنهما شيء؛ وهما من نوع الرجل الذي أشار إليه الرب في يوحنا١٠: ١، عندما تكلم عن «الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر، فذاك سارق ولص». لقد جاءوا ليُضلوا الناس بالفعل، وكان غمالائيل يظن أن يسوع هو واحد من أولئك الرعاة الكذبة، وليس راعي إسرائيل الحقيقي. وإذا كان منهم، فإن حركته مقضي عليها بالفشل أيضًا. وقد كان لتحذير "غمالائيل" تأثيره «فانقادوا إليه»، وأطلقوا سراح الرسل، ولكن بعد أن «جلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع» (الآية٤٠).

والحقيقة هي أن مجلس الكهنة كان يقاوم الله فعلاً. أما الرسل «فذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حُسبوا مُستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (الآية٤١)، وبإصرار استمروا في شهادتهم: علنًا في الهيكل، وبشكل خاص في البيوت «معلمين ومبشرين بيسوع المسيح» (الآية٤٢).

الأصحاح السادس

المُحرّك للهجمات والمشكلات التي واجهت الكنيسة الأولى في أورشليم، كان هو العدو والمقاوم الأكبر، الشيطان نفسه؛ فهو الذي حرّك الصدوقيين للعنف ومحاولات القتل، وهو الذي ملأ قلب "حنانيا" ليكذب، فزرع فيه الفساد، ليجرّب روح الرب. والآن بعد أن فشلت الهجمات الأولى، تحرك بطريقة أكثر دهاء، مستغلاً الخلافات البسيطة التي وُجِدت داخل الكنيسة نفسها. فاليونانيون الذين تتكلم عنهم الآية الأولى لم يكونوا من الأمم، بل يهودًا يتكلمون اللغة اليونانية، قادمين من أرض الشتات، بينما كان "العبرانيون" هم اليهود الذين وُلدوا في الوطن، في أورشليم وفلسطين.

كانت المشكلة الأولى والعظمى في الكنيسة - مشكلة حنانيا - بسبب المال. وإذا كانت الثانية ليست بسبب المال، فإنها كانت بسبب شيء قريب منه. فقد كانت بشأن توزيع الاحتياجات اليومية، والذي بُنيَ على أن كل شيء كان مشتركًا. كانت المشكلة الأولى اختلاس (الاحتفاظ بـ) جزء من المال، أما

الثانية فكانت بشأن توزيع المال، أو ما يناظره. فاليهود الغرباء كانوا يرون أن هناك تحيزًا في عملية التوزيع لصالح اليهود المُقيمين، لقد سبَّبت الحالة الأخطر (حالة حنانيا) مشكلة بسيطة، لأنها حُلَّت فورًا بسلطان الروح القدس، أما الحالة الأصغر (التذمر)، فسبَّبت مشكلة أكبر، كما نرى في هذا الأصحاح. وهذا، كما نعتقد، هو ما يحدث دائمًا تقريبًا في تاريخ الكنيسة؛ فالحالات الأصعب في حلها، هي الأبسط في أسبابها.

كان ما حدث مجرّد "تذمُّر" ولكن الرسل لم ينتظروا إلى أن يتحول إلى صرخات احتجاج. لقد أدركوا أن هدف الشيطان منه، هو أن يحوّلهم عن خدمة الكلمة إلى الخدمات الاجتماعية (خدمة الموائد) (الآية٢)، ولذلك تحركوا بسرعة لينهوا أيَّة احتجاجات مُحتملة. فدعا الرسل جمهور التلاميذ (الكنيسة) وطلبوا منهم أن ينتخبوا سبعة رجال ليتولوا هذه المهمة، واشترطوا أن يكونوا «مشهودًا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة» (الآية٣). فقد كان مطلوبًا أن تتميز خدمتهم بالحكمة والأمانة، بعيدًا عن أي لوم.

في ذلك الموقف، كان على الكنيسة أن تختار مَن يقوموا بتلك المهمة، ولكن المهمة عندئذٍ كانت توزيع المال والطعام الذي وفَّرته الكنيسة نفسها. بينما لا نقرأ أبدًا أن الكنيسة طُلب منها أن تختار أو تعيّن شيوخًا أو أساقفة أو خدام للكلمة، حيث إن النعمة الروحية والمواهب التي يوزعونها ليست مقدَّمة من الكنيسة، بل من الله. وبالتالي، فإن الاختيار وترتيب هذه هو في يد الله. فكما قال "بولس" لشيوخ أفسس في خطابه الوداعي **«احترزوا إذًا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة (نظارًا) لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه»** (أع٢٠: ٢٨). فالله يُعيِّن الذين يخدمون نعمته.

وبذلك، استمر تفرّغ الرسل للصلاة وخدمة الكلمة. وبالنسبة لمن يتعلمون تأتي الكلمة أولاً (انظر ١تيموثاوس٤: ٥)، لأننا نصلي بالشكل السليم فقط عندما نتعلم الكلمة. أما بالنسبة لمَن يخدمون، فتأتي الصلاة أولاً، لأنه بدون الصلاة لن يتكلموا بالكلمة بالشكل السليم.

وكما سادت الحكمة على الرسل، هكذا سادت النعمة في الكنيسة، لأن كل السبعة رجال الذين تم اختيارهم كانوا يحملون أسماء توحي بأنهم من أصل يوناني وليس عبري، ويُقال عن واحد منهم أنه كان «دخيلاً إنطاكيًا (وهو نيقولاوس)» (الآية٥)، وهذا يُشير إلى أنه كان من أصل أممي. وبهذه الطريقة ضمنت الجماعة إسكات كل تذمر واعتراضات سواء كان لها أساس أم لا. واتحد الرسل مع اختيار الكنيسة، بوضع أيديهم على الرجال الذين أُختيروا، بعد أن صلوا (الآية٦). وبذلك، أُحبطت مرة ثانية خطة المقاوم الذي يقف وراء الكواليس.

وفي الحقيقة، أن ما حدث كان أكثر من مجرد إحباط للشيطان، لأنه بدلاً من أن يُبعد الرسل عن الكلمة، «كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا ... وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان» (الآية٧). وأيضًا، صار "استفانوس"، وهو واحد من السبعة، إناءً خاصًا للنعمة وقوة الروح القدس، حتى إننا في نهاية هذا الأصحاح والأصحاح السابع كله من هذا السفر، نتابع ما فعله الله بواسطته، إلى وقت استشهاده.

والقوة التي كانت تعمل في "استفانوس" كانت متميِّزة حتى إنها أثارت معارضة في قطاعات جديدة من الناس. فرجال المجامع (الجماعات) المختلفة، المذكورة في الآية ٩، من الواضح أنهم كانوا جميعًا من الطبقة اليونانية، والتي كان استفانوس نفسه ينتمي إليها. ولكن، مع كل مهارتهم في

المناقشة والجَدل «لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به» (الآية١٠)، ولذلك لجأوا إلى اللعبة المعتادة، الشهود الكذبة، والعنف. وفي الآية ١١ قدَّموا موسى على الله «سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله»، عالمين ما يمكن أن يؤثِّر أكثر على مشاعر الناس، لأن موسى لكونه إنسانًا، فهو حقيقي أكثر بالنسبة لهم عن الله الذي لا يرونه. ولذلك أيضًا، في الآية ١٣، قدموا «الموضع المقدس» الذي أمام عيونهم على الناموس، وأخيرًا «العوائد التي سلمنا إياها موسى» وهي ربما أغلى عليهم عن أي شيء آخر. «فقاموا وخطفوه (استفانوس) وأتوا به إلى المجمع» (الآية١٢)، واتهموه بالتجديف وبأنه ينادي بأن «يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع المقدس ويُغَيِّر العوائد» (الآية١٤). وقد كان هناك قدر كبير من الصدق في هذا الاتهام؛ فبمجيء يسوع قد حدث فعلاً تحول جديد في طرق الله.

وبهذه الطريقة العَلَنية، خطت الخصومة بين الأمة وبين الله خطوة أبعد. لقد تحدوا الله (ألقوا بالقفاز في وجه الله)، وقد قبل الله هذا التحدي، بأن ملأ استفانوس بالروح القدس، حتى إن هيئة وجهه تغيرت «ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك» (الآية١٥)، وعلى شفتيه أعطى الروح القدس كلمة شهادة ختامية ضد تلك الأمة، ووجد المجمع أنفسهم في قفص الاتهام أمام الله بواسطة الروح القدس الذي تكلم على فم نفس الرجل الذي وضعوه هم في قفص الاتهام.

الأصحاح السابع

لقد بدأ تاريخ الشعب القديم بدعوة الله لإبراهيم ليخرج من أرضه القديمة ومن عشيرته، إلى الأرض التي اختارها له، وهناك يجعله أمة عظيمة، وهذا مُبيَّن في سفر التكوين١٢: ١-٣. هذا الحَدَث خلق عصرًا جديدًا، ونتبيَّن هذا عندما نلاحظ أن فترة زمنية طويلة نوعًا قد ضُغطت في الأصحاحات من ١ إلى ١١ في سفر التكوين، عن الفترة التي امتدت لتشغَل بقية العهد القديم كله. لقد ميَّزت دعوة إبراهيم تحولاً جديدًا في طرق تعاملِ الله مع الأرض، وبهذا التحول بدأ استفانوس خطابه.

فسفر التكوين يعرفنا أن «يهوه» ظهر لإبراهيم، ولكن "استفانوس" عرَّفه وتكلم عنه في نور جديد. فيهوه الذي ظهر لإبراهيم، هو «إله المجد»، الإله المجيد الذي لا يستطيع هذه العالم أن يصوِّر مجده، مهما كان تصوره جليلاً وعظيمًا. هذا، بلا شك، يفسِّر كيف استوعب إيمان إبراهيم الأمور السماوية التي تكلم عنها عبرانيين ١١: ١٠-١٦. فلأن الدعوة جاءت من «إله المجد»، لا بد أنه حظى بلمحات، على

الأقل، عن المدينة والوطن حيث يسكن المجد. بهذه النقطة السامية بدأ استفانوس، وانتهى، كما نعرف، بيسوع قائمًا في المجد عن يمين الله (الآية٥٤).

والاتجاه الأساسي لاستفانوس في خطابه المشهور هذا، هو بوضوح، أن يُقنع الشعب أن آباءهم، وهم أيضًا، قد أذنبوا بمقاومة عمل روح الله، على امتداد تاريخهم. وركَّز بشكل خاص على ما حدث عندما أقام الله خدامًا (أنبياء) ليؤسِّسوا شيئًا جديدًا في تاريخهم (الآية٥٢). لقد كانت هناك سلسلة من التحولات الجديدة، ذات مغزى أهم أو أقل. الأصلية فيها كانت تلك مع إبراهيم، ولكن تبعه يوسف، وموسى، ويشوع، وداود، وسليمان، كل هؤلاء يُشير إليهم، مع أنه يعطي اهتمامًا أكثر كثيرًا للثلاثة الأول عن الثلاثة الأُخر. ولم يتجاوبوا مع أحد من هؤلاء حقًا، ورفضوا رفضًا إيجابيًا ومن البداية كلاً من يوسف وموسى. وينهي استفانوس خطابه بالتدخل السابع، والذي حجب من عظمته كل ما عداه، أعلى «مجيء البار»، الذي سلَّموه وقتلوه (الآية٥٢).

ووضَّح استفانوس بجلاء أن رؤساء اليهود في أيامه إنما يكررون وبشكل أسوأ خطية أسلافهم. فرؤساء الآباء «حسدوا يوسف وباعوه إلى مصر» (الآية٩) ويسجِّل "متى" جهود بيلاطس لإنقاذ يسوع «**لأنه علم أنهم أسلموه حسدًا**» (متى ٢٧: ١٨). وكذلك أيضًا بالنسبة لموسى؛ فالقول الذي جعله يهرب «**مَن أقامك رئيسًا وقاضيًا علينا**» نطق به أحد إخوته، وليس أحد المصريين (الآية٢٩). فالرفض جاء من وسط شعبه، وليس من الخارج. وهذا ما حدث أيضًا مع يسوع.

والأصحاح الثاني من سفر الخروج لا يعطينا فكرة عن شهرة وقدرات موسى في نهاية الأربعين سنة الأولى من حياته مثلما تبينها لنا الآية ٢٢ من هذا الأصحاح. لقد كان رجلاً ذا علم «مقتدرًا في الأقوال والأعمال» (الآية٢٢)، عندما

وضع في قلبه أن يتّحِد مع شعبه، شعب الله. وبعد أن خطا هذه الخطوة، لا بد أنه صُدِم صدمة عنيفة أن يرفضوه. وعند سماعه ذلك القول: «مَن أقامك رئيسًا وقاضيًا علينا» هرب. لم يكن خائفًا من غضب الملك، كما نعرف من عبرانيين ١١: ٢٧، ولكنه لم يستطع أن يتحمل ذلك الرفض. لقد تصرَّف واعيًا لقدراته الخاصة غير العادية، **والآن كان يحتاج أربعين سنة من التدريب الإلهي في عُزلة الصحراء ليتعلم أن قدراته لا شيء وأن قوة الله هي كل شيء.** في كل هذا يقف موسى كالنقيض لربنا يسوع، مع أنه كان رمزًا له في الرفض الذي تحمله.

موسى هذا رُفض مرة ثانية من آبائهم، عندما أخرجهم من العبودية، وقادهم في البرية. وبرفضهم له، رفضوا في الحقيقة «يهوه»، وتحوَّلوا إلى عبادة الأصنام بشكل بشع. وحتى في البرية، وليس فقط عندما صاروا في الأرض، لم يحرصوا على تقديم الذبائح ليهوه، بل سجدوا للأصنام (الآية٤٢، ٤٣)، هذا مهَّد الطريق لأن يسلِّمهم الله للسبي البابلي، ولكن الله أقام داود، ثم بنى "سليمان" البيت. وكانوا يفتخرون بذلك البيت (انظر إرميا ٧: ٤). كما لو كان امتلاك هذه المباني يضمن كل شيء، بينما مسكن الله الحقيقي هو في سماء السماوات، وهي أسمى بما لا يُقاس عن أفخم المباني على الأرض.

وتتصف كلمات استفانوس الختامية، الآيات ٥١-٥٣، بقوة عظيمة. وتُعتبَر مُلحقًا لكلمات الرب نفسه، المسجَّلة في متى ٢٣: ٣١-٣٦، وتحمل الإدانة إلى خاتمتها الرهيبة في خيانة وقتل البار. لقد كان موقفهم أمام الله على أساس الناموس، ومع أنهم أخذوه بترتيب ملائكة، فإنهم لم يحفظوه (الآية٥٣). فالناموس كُسِر بعبادة الأصنام، والمسيا قتلوه؛ هذان هما الركيزتان العُظمتان في إدانة اليهود، وكلاهما واضح في الكلمات الختامية لاستفانوس.

لقد قلب الروح القدس، على فم استفانوس، كل الحجج على رؤوس مَن وجَّهوا له الاتهام، ووجدوا أنفسهم قد كُشف أمرهم، فصاروا في قفص الاتهام بدلاً من أن يكونوا على منصة القضاء. والصدمة المُزلزلة التي أحدثها "استفانوس" بهذا السرد التاريخي، وتوجيهه الاتهام من قِبَل الله لهم، لا بد قد أضافت قوة هائلة لكلماته. «فحنقوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه» (الآية٥٤).

ومن الواضح أن الشخص الوحيد الهادئ كان هو استفانوس. فإذ امتلأ بالروح، رأى بشكل فائق مجد الله، ويسوع في ذلك المجد، وشهد في الحال بما رأى. لقد سبق أن رأى حزقيال «شبه عرش ... وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق» (حزقيال ١: ٢٦)، ولكن "استفانوس" لم يرَ «شبه» ولا «منظر» بل «ابن الإنسان» نفسه، «قائمًا عن يمين الله». فيسوع الذي صُلب مرةً، هو الإنسان القائم عن يمين الله. إنه صاحب السلطان، الذي سيحكم الله به الكون.

في خطابه، بيَّن استفانوس أنه مع أن "يوسف" رُفض من إخوته، فقد كان خلاصهم على يديه، وفي النهاية سجدوا جميعًا له. وذكّرهم أيضًا أنه مع أن "موسى" رُفض في البداية، فإنه في النهاية صار القائد والمخلِّص لإسرائيل. والآن، يشهد بشيء مُماثل، ولكن أعظم بكثير، بالنسبة ليسوع. فالبار الذي قتلوه سيكون ديّانهم في النهاية، أما بالنسبة للذين يقبلوه فهو المحرِّر العظيم والأبدي. وللدلالة على ذلك فإنه هو الآن في المجد، وقد رآه استفانوس في هذا المجد.

ولعجزهم التام عن دحض أو مقاومة كلمات استفانوس، اندفع قادة اليهود إلى قتل استفانوس، وبذلك حققوا كلمات الرب المسجّلة في لوقا ١٩: ١٤ عن أهل المدينة الذين أبغضوا الإنسان الشريف الذي ملك عليهم، «فأرسلوا وراءه

سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا». أما يسوع فكان لا يزال قائمًا في مجده، مستعد أن يتمّم ما قاله بطرس في أعمال٣: ٢٠ **«ويرسل يسوع المسيح المُبشّر به لكم قبل»**، فقط إذا تابوا. ولكنهم لم يتوبوا، بل أظهروا الرفض العنيف برجمهم "لاستفانوس"، ليلحق بسيده. وكان بارزًا في هذا العمل الشرير شاب يُدعى "شاول"، كان راضيًا بقتله، وكان مُشرفًا على عملية الرجم. وهكذا، حيث تنتهي قصة "استفانوس"، تبدأ قصة شاول.

لقد أنهى "استفانوس"، أول شهيد مسيحي، حياته القصيرة اللامعة مُتشبهًا بسيده. فإذا امتلأ بالروح، امتلأت عيناه بيسوع في مجده. لم يَعُد لديه كلام يقوله للناس، فوجَّه كلماته الأخيرة إلى إلهه. فأسلم روحه للرب يسوع، وفي آخر صلاة رفعها طلب الرحمة لقاتليه.

مَن كان يتوقع استجابة مُذهلة مثل التي استجاب بها الرب الذي ارتفع بتغيير شاول، كبير القتلة؟ لقد استُجيبت صلاة الرب يسوع من على الصليب لأجل قاتليه بإرسال رسالة الإنجيل، لتبدأ من أورشليم، واستُجيبت صلاة استفانوس بتغيير شاول. ولم ينسَ شاول نفسه هذا أبدًا، ويشهد به في أعمال ٢٢: ٢٠ **«حين سُفك دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفًا وراضيًا بقتله».**

الأصحاح الثامن

لم يَقْنع قادة الدين في أورشليم بقتل استفانوس، لذا فقد شنّوا، عند هذه النقطة، أول حملة اضطهاد شديدة ضد المسيحيين، وفي هذه الحَملة برز شاول بشكل خاص. لقد هاجم الكنيسة كالذئب، مُقتحمًا حُرمة البيوت، ليقتنص الضحايا. ونتيجة لهذا، تشتّت التلاميذ من أورشليم إلى اليهودية والسامرة. والآن، طبقًا لكلمات الرب لتلاميذه في أعمال ١: ٨، يأتي دور هذه المناطق بعد أورشليم، وقبل أن تتوسع إرساليتهم إلى أقصى الأرض. وهكذا، مرة ثانية، حوّل الله غضب الإنسان لخدمة قصده. ولكن، ما يلفت الانتباه، هو أن الرسل، الذين كُلفوا بالإرسالية، كانوا هم الاستثناء للقاعدة. فقد بقوا في أورشليم (الآية١).

والأمر هكذا، تتجاهلهم القصة وتواصل مع الذين تشتتوا فجالوا مُبشرين بالكلمة (الآية٤)، وخاصة "فيلبس"، وهو أحد السبعة. فقد ذهب إلى مدينة السامرة ليكرز هناك، وكانت قوة الله معه، وتبع هذا بركات عظيمة، كما

يحدث دائمًا عندما يتحرك خادم الله في المسار المطابق لقصد الله. كان أول بذار تُلقى في السامرة بيد الرب نفسه، كما هو مسجل في يوحنا ٤. عندئذٍ لم يَقُل كثيرون: «ألعل هذا هو المسيح؟» فقط، بل قالوا: «هذا هو حقًا المسيح». والآن، جاء إليهم فيلبس ليكرز بالمسيح الذي مات وقام وهو الآن في المجد. ونتيجة لهذا، كان الحصاد وفيرًا. «فكان فرح عظيم في تلك المدينة» (الآية٨).

وعندما قبلوا رسالة "فيلبس"، بدأ يكلّمهم عن الأموّر المختصة بملكوت الله (الآية١٢)، وهذا قاد إلى اعتماد الكثيرين. وكان من بينهم سيمون الساحر الذي آمن و«اعتمد» أيضًا. فقد وجد نفسه، كما تبين الآية ٧، في حضرة قوة أعظم كثيرًا من قوة الأرواح النجسة، التي كان يتعامل معها قبل هذا.

والشيء الذي يلفت الانتباه بالنسبة للعمل في السامرة، هو أنه بالرغم من أن كثيرين قَبلوا رسالة الإنجيل، واعتمدوا، لم يكن أحد منهم قد قبل عطية الروح القدس. فترتيب الأمور الذي أعلنه بطرس في أعمال٢: ٣٨، لم يُطبَّق في حالة السامريين. ونعتقد أن الله كان له قصد خاص في ذلك. كانت هناك خصومه، أو صراع ديني بين أورشليم والسامرة، كما يشهد يوحنا ٤، ولذلك لا بد أنه كان هناك احتمال كبير لنقل هذه الخصومة القديمة وهذا التعصب إلى الظروف الجديدة. وهذا كان من الممكن أن يؤدي إلى قيام كنيسة سامرية، مستقلة عن كنيسة أورشليم، إن لم تكن منافسة لها، وبذلك يتبدد أي تعبير عملي عن الجسد الواحد، حتى قبل أن يُعلن عن هذا الحق. والأمر هكذا، فإنهم قبلوا الروح القدس فقط عندما جاء إليهم "بطرس" و"يوحنا" ووضعوا عليهم الأيدي، وبذلك توحَّد رسميًا الرسل والكنيسة في أورشليم مع أولئك المؤمنين الجُدد في السامرة. وبذلك حُوفظ على وحدة الكنيسة.

وعندما أُعطيَ الروح القدس، وُضع الخط الفاصل بين الحقيقي وبين المُزيف. فليس كل مَن اعتمدوا مؤمنين حقيقيين، ولكن الروح القدس أُعطيَ للمؤمنين الحقيقيين فقط. وبناء عليه، لم يَنَل سيمون في السامرة الروح القدس. والآيتان ١٢، ١٦ تبين لنا أن الشخص الذي اعتمد يُعلن دخوله إلى ملكوت الله، وأنه يحمل اسم الرب يسوع، كسيد جديد له، مثلما اعتمد إسرائيل قديمًا لموسى (انظر ١كورنثوس١٠: ٢). وقد خضع "سيمون" لكل هذا، ولكن عندما جاء الامتحان، انكشف زيفه. ولم يكن ليقول «أعطياني أنا أيضًا هذا السلطان» (الآية١٩)، لو أنه كان قد حصل عليه فعلاً، بل إنه في الواقع لم يفهم حقيقته، كما ثبت من عرضه الدراهم ليحصل عليه.

ولا بد أنها كانت ضربة عظيمة لسيمون، الذي كان سابقًا يسيطر على شعب السامرة بأعماله الخارقة، أن يجد جمهورًا كبيرًا يمتلك الآن القوة، التي جعلت أعماله المظلمة في حضرتها لا شيء. لقد امتلكوا هبة الروح القدس، وحُرم هو منها. هذا جعله يفضح نفسه تمامًا بعرضه الدراهم على الرسل. وكان يريد، ليس فقط أن يشتري الروح القدس لنفسه، بل أيضًا شراء سلطان نقله للآخرين بوضع يديه عليهم. ولا شك أنه شعر أنه إذا امتلك مثل هذه القوة، فإن أية دراهم يدفعها لشرائها هي بالتأكيد استثمار مُربح.

هذه هي ثالث مرة سُجلت لإطلال الشر برأسه في دائرة الذين اعتمدوا: وكان أولها "حنانيا وسفيرة"، وثانيها التذمر من الأرامل اللاتي تعرضن للإهمال، وثالثها سيمون الساحر. وفي كل منها، نلاحظ عنصر المال موجودًا. وفي هذه الحالة الثالثة، نرى بداية محاولات الشيطان لتحويل إيمان المسيح النقي إلى ديانة لكسب المال. في السامرة، كان مجرد نبع صغير في

رجل واحد، ولكن سرعان ما تضخَّم ليصبح فيضاناً يجرف الغنى الفادح إلى روما. وفي ذلك النظام الديني، التي هي مركزه، صار كل شيء - من المفروض أنه عطية من الله - يمكن شراءه بالمال.

ولم يتهاون بطرس مع سيمون الساحر، بل بيَّن له بوضوح أن فكره الشرير هذا، يكشف عن أن قلبه «ليس مستقيمًا أمام الله» (الآية٢١)، وأنه بعيد تمامًا عن دائرة الإيمان الحقيقي بالمسيح، وأنه هو وفضته مصيرهما الهلاك. وقد كانت كلمات بطرس بالتأكيد نبوية، عن المصير الذي سيصيب النظام الكهنوتي العظيم في النهاية، والذي حوَّل المسيحية خلال عصور طويلة إلى "ديانة المال".

ولكن كان هناك شعاع أمل، لوَّح به بطرس لسيمون، في الآية ٢٢، أن يتوب؛ فغفران الله ما زال مُتاحًا له. ولاحظ هنا، كيف أن فكر قلبه هو الذي يوصف بالشر، دون الإشارة لكلماته؛ وهو بذلك صورة للآية **«فكر الحماقة خطية»** (أمثال ٢٤: ٩). فلكونه لا يزال في رباط (قيود) المال، كان لا يزال أيضًا في رباط المرارة والظلم. ولأن **«محبة المال أصل لكل الشرور»**، أي لجميع أنواع الشرور، فإن جزءًا كبيرًا من المرارة التي تملأ الأرض، تنبع منها. ووجَّه بطرس سيمون إلى أن يُصلي إلى الله، ولكن من إجابته المسجلة في الآية ٢٤ «اطلبا أنتما إلى الرب من أجلي»، يظهر أنه كانت تعوزه التوبة التي تقوده أن يصلي من أجل نفسه، وتمنى أن يقوم بطرس بدور الوساطة (الشفاعة) نيابة عنه، دون أن يعمل هو شيء. ومنذ ذلك الوقت، والملايين يدفعون مبالغ ضخمة، على أمل أن ينالوا شفاعة بطرس.

لقد تباطأ الرسل في الخروج من أورشليم، كما عرفنا من الآية الأولى في هذا

الأصحاح. وقد كان فيلبس رائدًا بالذهاب إلى السامرة، ولكن الآن لحق به بطرس ويوحنا، اللذان كرزا بالكلمة لمَن قبلوا الإيمان. وأيضًا بشَّروا في عدة قرى في السامرة في طريق عودتهما. ولكن كان لا يزال هناك المزيد من العمل الرائد يجب أن يتم، وهذا ما كلم به ملاك الرب فيلبس وليس الرسل (الآية٢٦).

ويلفت النظر هنا، طاعة فيلبس الفورية البسيطة لتوجيهات الرب. لقد طلب الله منه أن يترك المكان الذي نجح فيه عمله، وأن يتجه إلى المنطقة الصحراوية جنوب غرب أورشليم. وتسجِّل كلمة الله هنا، أن ملاك الرب قال له: «قُم واذهب» (الآية٢٦)، «فقام وذهب» (الآية٢٧)، مع أن الإخوة ربما ظنوا أنه أخطأ الاتجاه، وأنه تطَرف في تصرفه هذا. وإذا كان لم يُعرَّف، في بدء الرحلة بهدفها، فإنه سرعان ما اكتشفه، لأن خطواته وُجهت ليلتقي بمسؤول حبشي هام، يسعى لمعرفة الله. وكان الرجل قد قام برحلة شاقة إلى أورشليم، طبقًا للنور الضئيل الذي وصل إليه. وقد وصل إلى هناك متأخرًا جدًا عن أن يحصل على أية فائدة من الهيكل، لأن وظيفته كبيت لله كانت قد انتهت. كما أنه تأخر جدًا عن أن يجد الرب (وهو في حالة تجسده على الأرض)، لأن الرب يسوع كان قد صعد إلى السماء بعد أن رفضه البشر وصلبوه. إلا أنه حصل على سفر هام من أسفار العهد القديم، وفي رحلة عودته ما كان يحتاج إلا إلى شيءٍ وحيدٍ فقط.

هذا الشيء الوحيد، أُرسل فيلبس ليقدمه له، لأن الله لم يكن ليسمح أن يمد ذلك الحبشي يديه إليه (مز٦٨: ٣١)، فيصرفه فارغًا. لقد كان يحتاج لنور العهد الجديد. ولأن العهد الجديد لم يكن قد كُتب بعد، أُرسل إليه فيلبس برسالة العهد الجديد. ولقد كان روح الله مسيطرًا على الموقف، ولذلك سار كل شيء بدقة

كاملة في ميعاده المضبوط. كان ذلك الحبشي قد وصل في القراءة إلى منتصف الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء، عندما «بادر إليه فيلبس» وفتح الحديث معه (الآية٣٠). وكان فكر الخصي الحبشي اليقظ مشغولاً بالسؤال الذي لا بد أن يُثيره هذا الأصحاح في فكر كل قارئ ذكي: «عن مَن يقول النبي هذا، عن نفسه أم عن واحد آخر؟» (الآية٣٤). وطرح الخصي الحبشي السؤال على فيلبس: الذي وجد فيه المفتاح لمهمته، «فبشره بيسوع» (الآية٣٥).

وكل ما قاله فيلبس للخصي الحبشي، لخَّصه لنا لوقا (كاتب السفر) في هذا الاسم المبارك «يسوع»، وهذا يمكن أن نفهمه بسهولة عندما نتذكر كيف عرَّفنا متى ١: ٢١ به «وتدعو اسمه يسوع»، وبعظمة مكانته «لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم». فكل ما كان ذلك الرجل يحتاجه – النور والخلاص – وجده في «يسوع»، وقد وجده في كلمات فيلبس. فإشعياء ٥٣ يقدّم لنا يسوع الذي مات موتًا كفاريًا ونيابيًا، وهو الذي قُطعت حياته من الأرض. عندئذٍ، ذلك الحبشي – الذي من الواضح كان يعرف عن المعمودية وأهميتها – طلب أن يتحد مع يسوع في موته. ففي المعمودية «صرنا متحدين معه بشبه (بالتشبه به في) موته» (رومية ٦: ٥)، وشعر أنه ليس هناك ما يمنع أن يتحد بهذه الطريقة بمَن آمن به.

والآية ٣٧ ينقصها القانونية الكتابية، إلا أنه لم يمنعه شيء، مع أنه لم يكن يهوديًا، وقام فيلبس بتعميده.

بهذه الطريقة، وصلت رسالة الإنجيل إلى أول أممي، وعُمّد، وأُرسل في طريقه، عائدًا إلى أهله، يحمل معرفة المخلِّص. واختفى فيلبس من هذا المشهد بشكل أسرع عن ظهوره فيه، ولكن حيث أن الخصي الحبشي لم يؤمن بفيلبس بل بيسوع، فإن اختفاء فيلبس لم يزعجه «وذهب في طريقه فرحًا» (الآية٣٩).

وإيمانه لم يُبنَ على فيلبس، بل على مَنْ بشره به فيلبس. وبالنسبة له، لم يَعُد مقْصِده أورشليم بل يسوع، وأيضًا ليس فيلبس بل يسوع. فالإعجاب بالكارز يؤدي إلى الضعف، ولكن التمسك بالمخلّص يؤدي إلى القوة الروحية.

وبالنسبة لفيلبس، لم تُربكه الطريقة المعجزية التي نُقل بها إلى «أشدود». فسافر شمالاً إلى قيصرية يبشّر في المدن التي مرّ بها. وسبع مرات في هذا الأصحاح يُذكر التبشير (*Preaching*)، وفي خمس من هذه المرات استُخدمت كلمة «يكرز بالمسيح» (*evangelize*). وهذه المرات هي في الآيات٤، ١٢، ٢٥ (في الترجمة العربية "فانديك": "تكلما بكلمة الرب")، ٤٠. وفي ثلاث مرات من الخمسة كان فيلبس هو المبشر، ولذلك لا يدهشنا أن أطلق الوحي عليه «**فيلبس المبشر**» (أعمال٢١: ٨).

وإيمان الخصي الحبشي كان علامة على أن زمن البركة للأمم قد حان. كان مثل العصفور المهاجر، الذي يدل على حلول الصيف. وفي الأصحاح التاسع، يَرِد ذكر دعوة وتغيير الرجل الذي صار رسولاً للأمم.

وكما يحدث كثيرًا، وقع اختيار الرب على الشخص المُستبعد جدًا أن يُختار. فكبير مضطهدي القديسين يصير الخادم المثالي للرب. ولهذا الغرض، تم التعامل معه بطريقة غير مسبوقة، وليس لها مثيل. فقد تعامل الرب نفسه معه بشكل مباشر، مستبعدًا أي استخدام للبشر، في جميع الأساسيات.

الأصحاح التاسع

كان "شاول" لا يزال مملوءًا بحماس وحشي لاضطهاد المؤمنين بالمسيح، عندما اعترض الرب مسار حياته وهو في الطريق إلى دمشق، وكشف له عن نفسه في ومضة من النور السماوي، أضاءت ليس حوله فقط، بل وصلت إلى ضميره أيضًا. ونستطيع أن نُمَيِّز في كل ملمح أساسي سُجِّل، علامات التغيير الحقيقي. فهناك النور الذي يشق طريقه إلى الضمير، واستعلان الرب يسوع للقلب، والتبكيت على الخطية في الكلمات «لماذا تضطهدني؟» (الآية٤)، وانهيار كل مقاومة واعتزاز بالذات في الكلمات «يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟» (الآية٦). فعندما يعلن المسيح نفسه، وعندما يُبكِّت الضمير على الخطايا، وعند الخضوع بتواضع ليسوع كَربٍّ، يكون قد حدث التغيير الحقيقي، وإن ظل هناك الكثير الذي على النفس أن تتعلمه. وكانت تعاملات الرب شخصية تمامًا مع بولس، أما بالنسبة لمرافقيه، فقد وقفوا متحيرين، ولم يفهموا شيئًا مما حدث.

بظهور الرب الهائل هذا، أُصيب شاول بالعمى حرفيًا، بالنسبة للعالم. وعندما أُقتيد إلى "دمشق"، قضى ثلاثة أيام لن ينساها أبدًا، أيام تغلغل فيها مغزى هذه

الرؤيا في روحه. ولكونه قد عمي، لم يشتت تفكيره شيء، ولم يفكر حتى في طعام أو شراب. وكما حدث مع حزقيال - كتمهيد لتكليفه بالخدمة - جلس بين المسبيين عند نهر "خابور" و«**هناك سكنت سبعة أيام متحيرًا في وسطهم**» (حزقيال ٣: ١٥)، هكذا جلس شاول متحيرًا في دمشق، لمدة ثلاثة أيام فقط، ولكن اختياراته كانت أعمق درجة. ويمكن أن نقرأ لمحة عنها في ١تيموثاوس ١: ١٢-١٧. لقد كان متحيرًا تجاه ذنبه العظيم "**كأول الخطاة**"، وحيَّرته أكثر نعمة الله الغنية الفائضة، التي رحمته. وخلال تلك الأيام الثلاثة، من الواضح أنه مرّ بعملية روحية هي الموت والقيامة. لقد تأسَّس في قلبه ما عبَّر عنه فيما بعد بقوله «**مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ**» (غلاطية ٢: ٢٠).

وخلال تلك الأيام الثلاثة رأى شاول «**في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعًا يده عليه لكي يُبصر**» (الآية١٢)، وفي نهايتها تحققت الرؤيا. فوصل حنانيا، وفعل كما قيل له (في الرؤيا)، وقال له: «**قد أرسلني الرب يسوع... لكي تُبصر وتمتلئ من الروح القدس**» (الآية١٧). في ذلك الوقت، كان شاول قد آمن، لأنه للمؤمنين فقط، يُعطى الروح القدس.

لقد تم العمل الأساسي في قلب شاول، باستخدام الرب لخادم من البشر. وجدير بنا ملاحظة شيئين عن هذا الخادم. أولاً: أنه كان مجرد «**تلميذ**» (الآية١٠)، ومن الواضح أنه لم يكن له مكانة بارزة. وكان من المناسب أن الشخص الوحيد الذي ساعد شاول، رجلاً متواضعًا جدًا. كان شاول ذا مكانة بارزة كمقاوم، وبعد قليل سيصير بارزًا جدًا كخادم للرب. لقد جاءته المساعدة من تلميذ غير مشهور وغير ذي مكانة، ولكن كان قريبًا بدرجة كافية من الرب تمكّنه من تلقي التوجيهات منه والتواصل معه. وكثيرًا ما يحدث هذا في تعاملات الله. ثانيًا: كان حنانيا يسكن في دمشق، فكان إذًا واحدًا من الذين كان شاول «**ينفث تهددًا وقتلاً**» ضدهم

(الآية١). إذًا، فإن واحدًا من الذين كان من الممكن أن يقتلهم شاول، هو الذي أُرسل إليه ليُطلق عليه «الأخ شاول»، وليفتح عينيه ويمتلئ بالروح القدس. وبهذه الطريقة المباركة، فإن شرّ بولس قوبل بصلاح إلهي بصورة فائقة.

انتهت الآن أيام العمى بالنسبة لشاول، جسديًا وعقليًا، فاعتمد باسم ذاك الذي كان يحتقره ويكرهه، وانضم إلى نفس الجماعة التي كان يفكّر في القضاء عليها، فقد صار واحدًا منها. لقد دُعيَ «إناءً مختارًا» (الآية١٥)، ولذلك بدأت خدمته في الحال. لقد كشف يسوع عن نفسه له كالمسيح، وكابن الله؛ ولذلك فإنه بشّر به هكذا مُبرهنًا من الكتب أنه هو المسيح، فبُهت أصدقائه القدامى (الآية٢٠). إلا أن هؤلاء الأصدقاء سرعان ما صاروا أعداءه اللدودين (الآية٢٣)، فتشاوروا لقتله، كما كان هو قبلاً يخطّط لقتل القديسين. لقد كان يتوقع أن يدخل دمشق في أبهة وعظمة كممثل لرئيس الكهنة. أما ما حدث فعلاً، فهو أنه دخلها كأعمى ذليل، وغادرها بشكل مُهين، هاربًا ليلاً من كراهية اليهود، مُدلى في سلٍّ من السور!

من البداية إذًا، كان على شاول أن يذوق نفس ما كان يُذيقه للآخرين. وعندما عاد إلى أورشليم، ارتاب فيه التلاميذ، وهذا طبيعي، ولم يقبلوه إلا بعد تدخّل برنابا. لقد استطاع برنابا أن يشهد عن عمل الله مع شاول وإيمانه، فكان كخطاب توصية. وفي أورشليم شهد شاول بمجاهرة، فقاومه اليونانيون، وربما هم نفس الأشخاص الذين كانوا مسؤولين عن قتل استفانوس. في كل هذا نستطيع أن نرى عمل حكومة الله. فحقيقة أن الرب أظهر رحمة عظيمة في تغييره، فإن هذا لم يعفِهِ من أن يحصد ما زرع.

وإذ هُدّد مرة أخرى بالموت، اضطر شاول أن يرحل إلى طرسوس مسقط رأسه. وقد نتساءل متى حدث ذهابه إلى العربية التي كتب عنها في غلاطية

١: ١٧. نعتقد أنها ربما كانت خلال "الأيام الكثيرة" التي تتكلم عنها الآية ٢٣ في هذا الأصحاح، لأنه يخبرنا أنه عاد مرة ثانية إلى دمشق. فإذا كان هذا ما حدث، يكون هروبه من دمشق من على السور قد حدث بعد رجوعه من العربية. فليكن ما يكون، ولكن رحيله إلى طرسوس البعيدة، كان بداية فترة سلام وبناء للكنائس، مما أدى إلى تكاثر عدد المؤمنين.

* * *

في الآية ٣٢، نعود إلى خدمة بطرس، لكي لا يتبادر إلى ذهننا أن روح الله توقف عن العمل فيه، بينما كان يعمل بقوة في مكان آخر. فأولاً، جرى عمل عظيم في "لُدَّة"، هو شفاء المفلوج (المشلول) منذ ثماني سنين، على يد بطرس. ثم، في "يافا" استخدم الله بطرس في إقامة طابيثا (غزالة) من الموت، وهذا أدى إلى إيمان كثيرين في تلك المدينة بالرب. وهذا أيضًا أدى إلى إقامة بطرس وقتًا طويلاً هناك في بيت سمعان الدباغ.

وفي الوقت نفسه أيضًا، كان روح الله يعمل في قلب كرنيليوس، قائد المئة الروماني، كثمرة لِما تميَّز به من تقوى وخوف الله، مع العطاء والصلاة. وقد حان الوقت الآن لتعريض هذا الرجل وأصدقائه المُماثلين له، لنور رسالة الإنجيل. والآن، وقد أُعطيت لبطرس «مفاتيح ملكوت السماوات» (متى١٦: ١٩)، فإنه مثلما استخدم هذه المفاتيح في يوم الخمسين لتفتح الباب للمختارين من بين اليهود، يستخدمها الآن ليفتح الباب للمختارين من بين الأمم. لقد سجَّل هذا الأصحاح كيف دعا الله الإنسان الذي سيكون رسول الأمم وغيَّره، ويسجل الأصحاح التالي كيف تخلَّص بطرس من تعصبه واقتيد ليفتح باب الإيمان للأمم، وبذلك مهَّد الطريق لخدمة الرسول بولس بعده.

الأصحاح العاشر

أول شيء في هذا الأصحاح هو إرسال الملاك إلــى "كرنيليــوس" ليوجِّهــه أن يرسل إلى "قيافا" ليستدعي "بطرس". ولم يكن هناك أيــة مــشكلة فــي هــذا، لأن كرنيليوس فعل في الحال، كما قيل له من الملاك. ولنلاحظ هنــا، أن المــلاك لــم يختصر القصة الطويلة بأن أبلغ الرسالة بنفسه لكرنيليوس؛ فرسالة النعمة لا يمكــن أن يوصلها بالشكل السليم، إلا رجل اختبر هو نفسه النعمة. ولذلك، ينبغي اســتدعاء بطرس. لقد نظر الله إلى صلوات وصدقات كرنيليوس، حيث إنها كانت تعبِّر عــن سعي قلبه بإخلاص إلى الله. ولو أنه، بعد سماعه رسالة الإنجيل، تجاهلها واســتمر في صلواته وطلباته، لاختلف الأمر. عندئذٍ، لم تكن لتصعد تذكارًا أمام الله.

بعد هذا يأتي وصف لتعاملات الله التمهيدية مع بطــرس، بواســطة "غيبــة" (غشية) وقعت عليه. وكان الأمر أكثر صعوبة هنا، لأنه كان لا يــزال مقيَّــدًا بأفكاره اليهودية، وكان ينبغي تخليصه منها. كان المستمعون جــاهزين، ولكــن كان يجب إعداد الكارز ليذهب. ويــسجل هنــا أنــه «صعد ... على السطح

ليصلي»، لذلك كان في الموقف المناسب لتلقي الإرشاد اللازم. وهنا نجد، ليس فقط شخصًا باحثًا أحياه روح الرب يصلي، بل أيضًا خادمًا يصلي. ولذلك تحققت نتائج باهرة.

فالملاءة العظيمة التي رآها بطرس نازلة من السماء المفتوحة (الآية١١)، كانت تحوي كل أنواع الحيوانات؛ الطاهرة والنجسة. لقد ارتفعت إلى السماء وقُبلت فيها. وأُمِر بطرس أن يُشبع جوعه بأن يذبح ويأكل، وكان في إمكانه أن يفعل هذا باختيار حيوان طاهر ليأكله. ولكنها كانت جميعًا مختلطة مع بعضها، ولذلك امتنع. فقيل له إن الله يستطيع أن يطهر النجس، وقد فعل ذلك فعلاً، وما طهره الله لا يستطيع هو أن يعتبره نجسًا. وقد تكرر هذا ثلاث مرات، لكي يرسخ معناه في فكر بطرس. ونستطيع أن نرى في الرويا رمزًا واضحًا لرسالة الإنجيل، التي تأتي من سماء مفتوحة، والتي تضم بين ثناياها الكثيرين، ومن بينهم الكثير من الأمم، الذين كانوا يُحسبون نجسين طقسيًا، ولكن النعمة طهرتهم جميعًا، وفي النهاية أُصعدوا إلى السماء.

في البداية، ارتاب بطرس في معنى كل هذا، لأن التعصب القديم يتلاشى ببطء، ولكن بينما استمر بطرس في التساؤل، اتضح الموقف بوصول مَن أرسلهم كرنيليوس. ووجّهه الروح القدس بوضوح أن يذهب معهم وأن يحمل رسالة الإنجيل إلى ذلك الروماني طالب الله. فذلك الأممي "النجس" له أن يخلُص.

في الأصحاح الثامن من نفس هذا السفر، رأينا كيف رتب الله بدقة التقاء "فيلبس" مع عربة الخصي الحبشي. وهنا نرى خَدَم "كرنيليوس" يَصلون في الدقيقة المحددة، لكي يؤكدوا التوجيهات السماوية في فكر "بطرس". لقد كان الأمر من الله، وقد أخذوا بطرس بدون اعتراض.

وعند وصوله إلى قيصرية، كان كل شيء مُعدًا في بيت كرنيليوس، وكان هو أيضًا متأكدًا أن الأمر من الله، ولذلك لم يكن يشك أن بطرس سيأتي، وقد دعا عددًا من الناس – الذين كانوا مثله – يطلبون الله.

وتكشف لنا الآية ٢٥ عن الخضوع والتوقير الذي كان يتصف به كرنيليوس. ولقد تطرف في التوقير، فلم يكن أمرًا هينًا أن الروماني المتعالي يسجد عند قدمي الصياد الجليلي المتواضع.

الآن، وجد بطرس نفسه في حضرة عدد كبير من الأمميين. وتُبين كلماته التي افتتح بها حديثه إلى كرنيليوس، كيف أنه أطاع التوجيه الذي نقلته إليه الرؤيا.

وتكشف إجابة كرنيليوس كيف آمن ببساطة برسالة الملاك وطاعته لها في الحال. وكان قد قبل اعتراض بطرس اللطيف عندما أكد له «أنا أيضًا إنسان» (الآية٢٦)، إلا أنه كان يعرف أن الله يعمل، وأن الاجتماع سينعقد في حضوره. ولذلك وضع نفسه وجميع الموجودين «أمام الله» ليسمعوا جميع ما أمر الله به بطرس. كانوا مستعدين أن يسمعوا من بطرس كل شيء. كثير من الناس لا يضيرهم سماع ما هو سار ومريح ولكن يأنفون سماع الإعلانات الأشد قسوة التي تعلنها رسالة الإنجيل.

وافتتح بطرس خطابه بالاعتراف أنه قد أيقن الآن أن الله ينظر إلى أي إنسان يسعى مُخلِصًا إليه، حسب النور الذي وصل إليه، وبصرف النظر عن الأمة التي ينتمي إليها. وأن نعمة الله تتدفق الآن بغنى عابرة حدود إسرائيل، مع أن الكلمة التي أرسلها الله بيسوع المسيح، عندما كان موجودًا بشخصه بين البشر، وُجهت إلى بني إسرائيل فقط. ولكن هذه الكلمة التي كانت قد انتشرت في الجليل واليهودية، واستقرت في تلك الأماكن، كان قد أُعلم بها كرنيليوس

وكل المجتمعين معه. فالأمور المختصة بحياة «يسوع الذي من الناصرة» وموته، صارت معروفة جيدًا لهم (الآية٣٧، ٣٨).

ولذلك، استطاع بطرس أن يقول «الكلمة ... أنتم تعلمون». إلا أنه كان هناك أشياء لم يعرفوها؛ فانبرى ليكشف كل الأساسيات. كان موت المسيح مشهدًا جرى أمام الجميع وعرفه الجميع. أما قيامته فشهدها قليلون، وينكرها الأغلبية. وهذا الإنكار يسانده رجال الدين، كما نعلم من متى ٢٨: ١١-١٥. ولذلك، يعلن بطرس الآن الأخبار الغريبة أن يسوع المصلوب قد أقامه الله من الأموات، وأنه هو وباقي الرسل قد رأوه فعلاً، وأكلوا معه، وتلقوا منه التكليف أن يكرزوا للآخرين. وفي الآيتين٤٢، ٤٣ يعلن بطرس ما كُلِّف أن يعلنه.

هاتان الآيتان تقدمان لنا الأفكار الرئيسية في كرازته، إعلانين لا بد أنه كان لهما تأثير عظيم على سامعيه الأمميين. أولاً، أن يسوع الذي صلبه الناس «هو المُعيَّن من الله ديانًا للأحياء والأموات». وأن اليهود والأمم اشتركوا في صلبه. ولا بد أن كرنيليوس كان يعرف فعلاً التفاصيل، وربما كان يعرف بعض مَن شاركوا فيه، إذا لم يكن هو نفسه قد تورط في ذلك. كان يعرف عاره وإهانته، وفشله الظاهري. حسنًا، يسوع المحتقر هذا، سيأتي في اليوم المحدَّد كديَّان للجميع، ومصير كل البشر في يديه. يا له من إعلان مُذهل يملأ كل مقاوم بالرعب!

ولكن ثانيًا، قبل أن يُجلِس هذا الديان (القاضي) نفسه على كرسي القضاء، فإن له يشهد جميع الأنبياء، أن هناك غفرانًا مُقدَّمًا في اسمه. وهذا الغفران يناله «كل مَن يؤمن به» (الآية٤٣). غفران عن طريق اسم الديان (القاضي)! هل يمكن أن يكون هناك شيء أكثر ثباتًا وترضية عن هذا؟ لقد صار الديان

هو الضامن للخطاة، وبناء عليه، فإن مَن يؤمن به ينال غفران الخطايا، قبل أن يأتي اليوم، الذي فيه تُقام الدينونة العظيمة للأحياء وللأموات.

وقد آمن كرنيليوس ومَن معه (أصدقائه) فعلاً. كان الإيمان موجودًا في قلوبهم قبل أن يسمعوا الرسالة. وعند سماعهم لها، قبلها إيمانهم، وأعطى الله العلامة على ذلك، بأن أنعم عليهم في الحال بعطية الروح القدس. لقد أبرق إيمانهم كنور البرق، وتبعه في الحال هزيم رعد الروح القدس. لقد سُكب الروح القدس على هؤلاء المؤمنين من الأمم، مثلما سُكب في البداية على المؤمنين من اليهود، وتبعته علامة الألسنة. لقد توحّدت الحالتان، وبهذه الطريقة، انتفى الشك من أولئك «الذين من أهل الختان»، الذين جاءوا مع بطرس. ولم يبقَ إلا تعميد أولئك الأمم. لأنه إذا كان الله قد عمدهم بالروح القدس في جسد واحد، هل يستطيع أحد أن يمنع (يحرمهم من) الدخول بين المؤمنين على الأرض بماء المعمودية.

هناك فارق بين أعمال ٢ وبين هذا الأصحاح؛ فهناك كان على أولئك المتسائلين أن يخضعوا أولاً لمعمودية الماء، وبعدها ينالون موعد الروح القدس. كان عليهم أن يقطعوا كل صلة بأمّتهم المتمردة، قبل أن ينالوا البَركة. أما هنا، فقد منح الله الروح القدس أولاً، لأنه لو لم يفعل ذلك، لأقام تعصب اليهود جدارَ رفضٍ ضد معموديتهم وقبولهم. ولذلك، أهّلهم الله مُسبقًا. وفي الحقيقة أن الأصحاح كله يُرينا كيف أن فتح باب الإيمان للأمم، كان من عمل يد الله، لإتمام قصده. وهو يُرينا أنه لا يمكن وضع قاعدة جامدة بالنسبة لقبول الروح القدس. إن هذا القبول هو دائمًا نتيجة للإيمان، ولكن قد يكون **بالمعمودية أو بدونها، بوضع أيدي الرسل أو بدونه** ــ انظر أعمال ١٩.

الأصحاح الحادي عشر

يُفتتح هذا الأصحاح بمخاصمة الاعتراض والرفض التي قامت في أورشليم بسبب ما حدث في قيصرية. فأولئك المتعصبين لليهودية، اعترضوا على تصرفات بطرس **«قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوي غُلفَة وأكلت معهم»** (الآية٣). هذا قاد بطرس لأن يحكي الموضوع من البداية وبالترتيب، لكي يُري الجميع أن الأمر هو بالتأكيد من الله. وجدير بالملاحظة أن روح الله استحسن أن يسجّل بيان بطرس الخاص، وكذلك ما سجّله لوقا كمؤرخ، في الأصحاح السابق. هذا يؤكد أهمية ما حدث في الخفاء في بيت الضابط الروماني. لقد كان في الحقيقة حدثًا صنع فترة جديدة.

وفي بيان بطرس، من الطبيعي أن نرى دوره في القصة، وليس دور كرنيليوس، ولكنه يقدّم لنا أحد التفاصيل عن رسالة الملاك لكرنيليوس، لم تُذكر في الأصحاح السابق. وهو أن بطرس سيكلمه **«كلامًا» به «يخلص» هو وأهل بيته** (الآية١٤). فالناموس يكلّف الناس بأعمال، أما رسالة الإنجيل فتوصل

كلمات للناس، هذه الكلمات تقودهم للخلاص، إذا آمنوا. ولاحظ أيضًا أنهم لا يخلصون إلا بعد سماع رسالة الإنجيل، وإيمانهم بها؛ مع أنه بدون شك، كان هناك عمَل لله في قلوب هؤلاء الناس، جعلهم يطلبون الله.

وفي الآيتين ١٥، ١٦، نرى أن بطرس رأى في هبة الروح القدس لكرنيليوس معمودية بالروح القدس، هي امتداد لِما حدث في أورشليم في البداية. فالله قد أعطى المؤمنين من الأمم، ما سبق أن أعطاه للمؤمنين اليهود. فالله قد ساوى بين الاثنين، ومَن هو بطرس أو أي شخص آخر حتى يمنع الله؟!

هذا البيان البسيط الصريح، الذي ألقاه بطرس، أسكت كل معارضة. وبالتأكيد أن النعمة قد عملت في قلوب أولئك المعترضين، حتى أنهم لم يعترفوا فقط أن الله «أعطى الأمم أيضًا التوبة للحياة»، بل أنهم أيضًا مجَّدوا الله على صنيعه هذا (الآية١٨). وقد نسبوا التوبة كهبة من الله، كما أن الإيمان منسوب كهبة إلهية في أفسس٢: ٨.

وفي الآية ١٩، نترك بطرس ونلتقط الخيط من أعمال ٨: ١. وفيما بينهما، رأينا خدمة فيلبس التبشيرية، وتغيير شاول الذي سيصير رسول الأمم، وخدمة بطرس، التي تُوِّجت بفتح باب الإيمان رسميًا للأمم. والآن نكتشف أنه بينما حمل جمهور المؤمنين الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد ـ (حملوا) رسالة الإنجيل معهم، فإنهم كانوا «لا يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط» (الآية١٩). ولكن كان هناك البعض "قبرسيون" و"قيروانيون"، الذين عندما دخلوا أنطاكية كانوا يبشرون اليونانيين بيسوع ربًا (الآية٢٠)، لأنه حقًا «ربّ الكل» (١٠: ٣٦). هؤلاء الرجال، إذًا، بدأوا يبشِّرون الأمم، وهي بالضبط المهمة الخاصة التي شُغِل الروح القدس بها الآن. وقد ترتب على هذا نتائج مُدهشة. فقد كانت يد الله معهم، مع أنهم

كانوا رجالاً ليس لهم ذكر، «فآمن عدد كثير، ورجعوا إلى الرب» (الآية٢١).

وهكذا، تكوَّنت أول كنيسة من الأمم، وقد اتسع العمل بسرعة إلى أبعاد لفتت انتباه الكنيسة في أورشليم، وجعلتهم ينتدبون "برنابا" ليزوروهم. وعندما أتى "برنابا" «ورأى نعمة الله فرح» (الآية٢٣). وبدلاً من أن يغار أن آخرين غيره وغير القادة في أورشليم قد استخدمهم الله في هذا، فرح وساند العمل بالتشجيع. و«لأنه كان رجلاً صالحًا، وممتلئًا من الروح القدس» (الآية٢٤)، لم تهمّه شهرته، بل مجد المسيح. وقد وعظهم (أي حرَّضهم وشجعهم)، أنهم كما بدأوا "بالإيمان بالرب" عليهم أن يثبتوا في الرب بعزم القلب (الآية٢٣). لقد كان عمل نعمة الله هو الشيء الأهم بالنسبة لبرنابا، ولا يهم بيد مَن جرى.

كم كان سيكون رائعًا، لو أن روح برنابا هذه شاعت في تاريخ الكنيسة كله!

وقد ميَّز ذلك الرجل الصالح برنابا شيء آخر. لقد كان واضحًا أنه كان يعرف قدر نفسه. لقد شعر أن رجلاً آخرَ وليس هو، هو المُعيَّن لتعليم أولئك المؤمنين من الأمم، ولذلك خرج إلى طرسوس ليأتي بشاول. ويبدو أن دور برنابا كان هو التشجيع [وقد سبق أن «دُعي من الرسل برنابا الذي يُترجم ابن الوعظ» (المُشجع) (أعمال ٤: ٣٧)]، وكان دور شاول هو التعليم، وقد تفرغا سنة كاملة لهذا العمل.

ومن الأمور البارزة أنه «دُعيَ التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً» (الآية٢٦). وجدير بالملاحظة، كيف كان التركيز على ربوبية يسوع في هذا الوصف للعمل في أنطاكية، وعندما يثبت ويتمسك المؤمنون بالمسيح كرب، بعزم القلب، يكون سلوكهم هو الدافع أن يسميهم الآخرون مسيحيين. وعندما نصل إلى أعمال ص٢٦ نجد أن أغريباس كان يعرف ذلك الاسم في قوله لبولس: «بقليلٍ تقنعني أن أصير مسيحيًا» (أعمال ٢٦: ٢٨). وفي

ابطرس ٤ : ١٦ نجد أن روح الرب يقبل هذه التسمية كتسمية مُكرَّمة.

وفي نهاية هذا الأصحاح يُتاح لنا أن نرى كيف كـان خـدام الله، كالأنبيـاء (ع٢٧)، يتنقلون بحرية بين الكنائس المختلفة. فالمواهـب التـي أُعطيـت فـي الكنيسة يجب أن تُستخدم بطريقة شاملة وليست مجرد محلية. وهكـذا، جـرى عن طريق "أغابوس"، وهو نبي من أورشليم، تحـذير الكنيـسة فـي أنطاكيـة بمجيء مجاعة، فاتُخذت الإجراءات مقـدَّمًا لمواجهـة الاحتياجـات المتوقعـة للقديسين في اليهودية. وبذلك، أُتيحت الفرصة، في وقت مبكر، للمـؤمنين مـن الأمم، أن يُعبِّروا عن محبتهم تجاه إخوتهم من اليهود.

الأصحاح الثاني عشر

يُعتبر هذا الأصحاح جزءًا اعتراضيًا. فمرة أخرى يعود بنا إلى أورشليم، لنقرأ عن اضطهاد هيرودس للقديسين، وكيف تعامل الله مع هيرودس.

لقد كان يعقوب أخو يوحنا أول ضحية له. وكان يعقوب واحدًا من الثلاثة الذين اختصهم الرب بالوجود معه على جبل التجلي، وفي جثسيماني، وفي مناسبات أخرى. لماذا لم يتدخل الرب في ما حدث له، كما فعل مع بطرس؟ **مَن له أن يُجيب؟!** ولكن ما نعرفه أن الله لم يتدخل، واستشهد أول مجموعة الرسل. كان هيرودس يسعى لإرضاء اليهود، مثله مثل بيلاطس عندما صلب الرب. وهنا يقال عن هيرودس: **«وإذ رأى أن ذلك يُرضي اليهود»، تمادى «فقبض على بطرس»** (الآية٣). وهكذا، مرة ثانية، نجد اليهود يقومون بالدور الذي جعل غضب الله يُدركهم إلى النهاية (١تسالونيكي ٢: ١٤-١٦).

وقد أدّى القبض على بطرس، أن تجثو الكنيسة على ركبها. وقد لجأوا إلى الله وليس إلى إنسان. وتُبرز الكلمات الأخيرة من الآية ٥ أساسيات الصلاة

الفعالة. فأولاً أنها كانت «صلاة ... إلى الله»، ولذلك كانت صلاة حقيقية وليست سطحية. وقد كانت مرفوعة «من الكنيسة»، ولذلك فهي صلاة "موحدة" (بقلب واحد). وكانت «من أجله» فهي "محددة" – لا تتطرق إلى مئات الطلبات المشتتة، بل مركّزة على هدف محدد. كما أنها كانت "بدون انقطاع" ولذلك كانت حارة وبإلحاح (**بلجاجة**) – هذه هي الصلاة التي تضمن الاستجابة، حسب لوقا ١٨: ١؛ يعقوب ٥: ١٦. وقد أتت صلاة الكنيسة بملاك من السماء لينقذ بطرس.

وكان هيرودس قد وضع سجينه في حراسة ست عشر جنديًا، مقيّدًا بالسلاسل، وراء القضبان والمزاليج، فربما كان قد بلغ مسامعه حالات إنقاذ سابقة. ولكن كل هذه كانت كَلا شيء أمام الملاك، وأُخرِج بطرس إلى الحرية. وكان كثيرون لا يزالوا يصلون في بيت مريم أم مرقس وأخت برنابا. وإلى هناك جاء بطرس بعد أن رجع إلى نفسه. وبينما كانوا بعد يُطالبون الله بإنقاذ بطرس، كان الرجل الذي تم إنقاذه يطرق على الباب. عجبًا! لقد كانت استجابة الصلاة واقفة على الباب. ولم يستطعوا أن يصدّقوا، وفي هذا هم يُشبهوننا. لقد تجاوزت استجابة الصلاة حدود إيمانهم.

وقد خاب أمل اليهود، وأفلتت الفريسة من يد هيرودس. وكان الوحيدون الذين قُتلوا في اليوم التالي هم الجنود تُعساء الحظ، الذين كانوا مسؤولين عن حراسة بطرس.

ولكن حساب الله مع هيرودس لم يكن قد انتهى، مع أن هيرودس كان قد نفض يديه من موضوع بطرس. فقد مجّد الملك الشرير نفسه أمام أهل صور وصيدا، وهو على عرشه تحيط به علامات الأبهة والعظمة، في الخطاب الذي

ألقاه. لقد كان نجاحًا دبلوماسيًا هائلاً له، وقد هلّل الناس له، واصفين إياه أنه "إله"، وقد قبل هو ذلك. وفي تلك اللحظة، ضربه ملاك الرب. فإنه – وهو إنسان – قَبِلَ تمجيدًا يليق بالله وحده. واليوم، يفعل أصحاب السلطة، مع أنهم بشر فانون، الشيء نفسه، ونحن نراهم أيضًا يختفون من على مسرح الحياة بشكل مُهين.

وفي هذا الأصحاح، نجد ملاك الرب مرتين "يضرب". لقد «ضرب جنب بطرس»، المستغرق في النوم، وكانت النتيجة أنه «أيقظه» (الآية٧). وضرب هيرودس، وفي الحال أذله، «فصار يأكله الدود ومات» (الآية٢٣). المعتاد، أن يأكل الدود جسد الإنسان بعد موته، ولكن في حالة هيرودس أكله الدود قبل موته. هل هناك من نهاية رهيبة، يمكن تخيلها، مثل هذه؟! بالنسبة ليعقوب، سمح الله لهيرودس أن يحقِّق غرضه، ولكن هدفه خاب بالنسبة لبطرس، وسخَرَ الله منه، وانتزع روحه وسط مشاهد البؤس والألم التي لا توصف.

وتضع الآية ٢٤ أمامنا تباينًا مُذهلاً، فبينما كان الدود ينمو ويتزايد على جسد هيرودس البائس، كانت كلمة الله تنمو وتزيد في قلوب الكثيرين. **عندما يريد الله أن يقضي على مقاوم له، فإنه لا يكلف نفسه جهدًا، فديدان قليلة تكفي لإتمام قصده.** أما كلمة الله فهي التي تحقق قصده بالبركة في نفوس البشر.

وتلتقط الآية ٢٥ الخيط من الآية الأخيرة من الأصحاح السابق. فقد ذهب برنابا وشاول إلى أورشليم حاملين تقدمات قديسي أنطاكية، وبعد أن أتموا خدمتهم، رجعوا، وأخذوا مرقس معهم. وعندما نبدأ الأصحاح التالي، تتجه أفكارنا مرة ثانية إلى أنطاكية والعمل هناك.

الأصحاح الثالث عشر

تلك الكنيسة الكبيرة في أنطاكية، والتي كانت تتكون أساسًا من الأمم، كان بها ما لا يقل عن خمسة أنبياء ومعلمين في وسطها. وأسماؤهم مذكورة هنا، ونتعلم منها الكثير: فأحدهم له اسم، ربما يدل على أنه كان زنجيًا، وأقصد به سمعان الذي يُدعى نيجر (نيجر يعني أسود)، وآخر (منـاين) ويميزه أنه تربى مع هيرودس (ابن بالتبني)، وبرنابا وهو يهودي يوناني، وشاول وهو فريسي من الفريسيين، ولوكيوس القيرواني – وهذا ربما كان أمميًا. ولذلك، كان واضحًا من البداية أن الجنس والنشأة ليست هي العناصر الحاسمة أو الهامة في تشكيل الكنيسة، بل كانت الأهمية للموهبة المُعطاة من فوق. هؤلاء الرجال لم يكونوا فقط يتولون خدمة تعليم القديسين، بل كانوا أيضًا يخدمون الله بتقديم الشكر والتوسل والصوم. وفي إحدى هذه المناسبات الخاصة، أعطى الروح القدس*

---

* يؤكد سفر الأعمال على أقنومية الروح القدس، فهو ليس مجرد تأثير. ففي هذا الأصحاح «قال الروح القدس»، وفي ١٥: ٢٨ «رأى الروح القدس»، وفي ١٦: ٦ «منعهم الروح القدس»، وفي ١٦: ٧ «لم يدعهم (يسمح لهم) الروح». (المترجم)

توجيهات مُحدَّدة بفرز برنابا وشاول «للعمل الذي دعوتهما إليه» (الآية٢). وهو حمل رسالة الإنجيل إلى عالم الأمم.

وقد أُختير الأول والأخير من هؤلاء الخمسة لهذه المهمة (الإرسالية). أما الآخرون فصلّوا لأجلهم (وصاموا)، واتحدوا معهم في خدمتهم القادمة بوضع الأيدي عليهم (الآية٣). ووضع الأيدي ليس هو ما يُسمى اليوم "رسامة"، لأن الرجلين اللذين وقع عليهما الاختيار، كانا يقومان بالخدمة بشكل كامل فعلاً. فوضع الأيدي كان يعبّر عن التوحد معهم قلبًا وقالبًا. فكأنهم يقولون "نحن معكم بكل وجداننا في هذا التكليف". وهكذا، بروح الشركة الكاملة، ودون أي غيرة أو تنافس أطلقوهما.

وحتى في هذا، كان الروح القدس هو الذي أرسلهم حقًا، كما تبين الآية ٤. فاتجها أولاً إلى قبرص، موطن برنابا الأصلي، وقد صاحبهم مرقس ابن أخته. وعندما وصلوا إلى "بافوس"، وجدوا ما شجّعهم، وهو أن الوالي (سرجيوس بولس) كان لديه استعداد لقبول كلمة الله، ولكنهم في الوقت نفسه تعرضوا لمقاومة من الشيطان (بواسطة "عليم الساحر"). والمقاومة من قوى الظلام تُعتبر علامة مشجّعة، وليس العكس.

وكان "عليم" يهوديًا مقاومًا لله، باع نفسه لخدمة الشيطان، وكان هو المقاوم الأساسي لرسالة الإنجيل في "بافوس". ولكن كما كانت قوة الشيطان مُمثّلة فيه، كذلك كانت قوة الروح القدس هي المحرّك لبولس، وهنا يبرز دليل رائع على أن «**الذي فيكم أعظم من الذي في العالم**» (١يوحنا ٤: ٤). وقد أزيح القناع عن حقيقة ذلك الرجل، ووقعت عليه يد الرب بالدينونة. وما يلفت الانتباه، أن شاول هنا استُخدم ليُوقع على شخص آخر، شيئًا مُماثلاً لِما وقع عليه هو.

وفي السابق، وقعت القشور عن عيني شاول بعد ثلاثة أيام. أما "عليم الساحر" فقد سقط عليه ضباب وظلمة إلى حين (الآية١١)، وهو أمر يناسب ظلمة فكره. وقد آمن الوالي، ليس بسبب المعجزة، بل عندما سمع تعليم الرب.

ومن هذه النقطة في القصة، يعطي لوقا شاول اسمه الجديد "بولس" (ومعناه قليل أو صغير)، وفي نفس الوقت نرى الروح القدس يدفع به إلى مركز القيادة في الخدمة والكرازة، ولذلك نجد في الآية ١٣ أن «بولس ومَن معه» صارت هي العبارة المُستخدمة.

ونعتقد أن هناك صلة مقصودة، بين التغيير في الاسم وبين التغيير في المكانة. فالذي دُعيَ صغيرًا (أو قليلاً) يصير القائد، وهذا يصوِّر كلمات الرب في متى ١٨: ٤ «فمَن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السماوات». هل لهذا علاقة بانفصال يوحنا مرقس عن الجماعة عند هذه النقطة. إنه تساؤل نطرحه. فخاله برنابا صار في الظل إلى حد ما (بعد أن كان هو المتقدم).

وفي أنطاكية بيسدية* (في أسيا الصغرى – تركيا حاليًا)، طلب منهم رؤساء مجمع اليهود في تلك المدينة، باعتبارهم ضيوف، أن يقدموا «كلمة وعظ للشعب» (الآية١٥)، ومرة ثانية كان بولس هو الذي انتهز الفرصة ووقف ليتكلم. وتسجل لنا الآيات من ١٧ إلى ٤١ الكلمات التي خاطب بها الشعب، ولذلك فهي فرصة ثمينة لاستبصار طريقة تقديمه لرسالة الإنجيل لمستمعين خليط من اليهود والدخلاء.

---

* وهي غير أنطاكية التي في سوريا، المذكورة في الآية ١، والتي كان لها مكانة خاصة في قلب بولس، ومنها بدأ رحلاته التبشيرية الثلاثة. (المترجم)

بدأ الرسول بافتقاد الله لآبائهم في مصر، وبإخراجهم منها، ومن هذه النقطة تسلسل إلى اختيار الله لداود، وإلى وعده بمخلِّص من نسله. ثم، قدَّم يسوع على أنه النسل الموعود به، وقد شهد له يوحنا المعمدان. والآن أُرسلت بشارة هذا الخلاص الذي أساسه هذا المخلِّص إلى جميع السامعين، وتشمل عبارة «الذين بينكم يتقون الله» (الآية٢٦)، الدخلاء من الأمم الذين بينهم.

ثم انتقل ليتكلم عن موت يسوع وقيامة، وموته هو العمل الشرير ليهود أورشليم، أما قيامته فهي من عمل الله، وقد تأكدت قيامته بشكل قاطع من شهود موثوق بهم. وهكذا، نقل إليهم "البشارة السارة" بشكل مزدوج. أولاً، هناك البشرى السارة بإتمام الله لوعده بإقامة يسوع (الآية٣٣). ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن هذه الآية تُشير إلى مجيء الرب إلى العالم، طبقًا للمزمور الثاني، وليس قيامة يسوع من الأموات. ثم، ثانيًا، هناك الأخبار السارة أنه عندما حكم الناس على يسوع بالموت، أقامه الله من الأموات، ولن يعود للموت أبدًا. ووجد بولس تلميحًا للقيامة في «مراحم داود الصادقة» (إشعياء ٥٥: ٣). وأيضًا في الكلمات المشهورة، التي اقتبسها من مزمور١٦. فالأولى كُتبت عن داود، والثانية كُتبت بيد داود، ولكن في الحقيقة، لا يُشير الروح القدس في أي منهما إلى داود، كما تقول الآية ٣٦ «لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله، رقد ... ورأى فسادًا»، وكلمات مزموره لا يمكن أن تُشير إلا إلى المسيح فقط.

وهكذا، بعد أن رَسَّخ بولس قيامة المسيح، وصل بخطابه إلى ذروته بإعلان الغفران "بهذا" الرجل الذي قام من الأموات. وقد قدَّم هذا الإعلان بأسلوب خطابي كإعلان من الله. وعبارة «فليكن معلومًا» ليس فيها اقتباس من العهد القديم. فما أعلنه لهم، كان عليهم أن يعرفوه، لأن الله في الحقيقة كان يتكلم على

فمه. وفي ١كورنثوس ٢: ١٣، نجد بولس ينسب لوحي الروح القدس الكلمات التي نطق بها في قوله: «التي نتكلم بها أيضًا ... بما يعلمه الروح القدس»، ولذلك لا نتردد أن ننسب ما كتبه إلى الروح القدس، والتي حُفظت لنا في العهد الجديد. وعندما قال بولس «فليكن معلومًا»، فمعناها أنه في إمكان كل مَن آمن أن يعلم. وبنفس الطريقة، نحن نعلم، عندما نؤمن بالكلمة المقدسة.

ولم يوضّح بولس هذا الإعلان العام عن الغفران فقط، بل إنه أعلن أيضًا النتائج الإيجابية ثمرة الإيمان برسالة الإنجيل. فبالمسيح يتبرّر المؤمن من كل شيء. فبأعمال الناموس لا يمكن أن يتبرر أحد منا إطلاقًا، ولكن بالإيمان بالمسيح نتبرر من كل شيء، فلقد نلنا التبرير من كل حُكم صدر علينا، ونتمتع «بالبر الذي من الله بالإيمان». كل هذا مبني على الإيمان بالمسيح، المُقام من الأموات. فهذا كله «بهذا» الرجل، و«به».

واختتم بولس خطابه بكلمة تحذير، وهذا يتفق مع ما قاله في رومية ١: ١٦-١٨. ففي "إنجيل المسيح" «مُعلن بر الله»، كما رأينا في الآية ٣٩ من أصحاحنا، ولكنه مُعلن على خلفية سوداء هي «غضب الله». ومن هنا جاءت كلماته المهيبة في الآيتين ٤٠، ٤١. والطريقة التي يقتبس بها من حبقوق ١: ٥ تلفت الانتباه، لأن الإشارة هناك واضح أنها عن الكلدانيين. ومع أن الكلدانيين تحققت فيهم النبوة بشكل مباشر، إلا أنه من الواضح أنها ستتحقق بشكل نهائي وواسع في دينونة يوم الرب. فليس هناك نبوة في الكتاب من «تفسير خاص».

وتبين الآيات ٤٣-٤٨ أن الإنجيل هو حقًا «**قوة الله للخلاص لكل مَن يؤمن**» (رومية ١: ١٦). وقد وَصَل أولاً لليهود والدخلاء، ولكن عندما بدأ أغلبية اليهود، مملوئين حسدًا، يقاومون بعنف، اتجه الرسل إلى الأمم بالتحديد بفرصة الخلاص،

وقد وجدوا في إشعياء ٤٩: ٦ أمرًا صريحًا من الرب بذلك، «قد جعلتك نورًا للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». فالنور والخلاص للأمم كانا قصد الله من أيام القِدَم. وقد آمن كثير من الأمم، وبذلك صار واضحًا أنهم «كانوا معينين للحياة الأبدية» (الآية٤٨). ونحن لا نعرف مَن هو المُعيَّن للحياة الأبدية، ولذلك لا نستطيع أن نحدّد مَن الذي سيؤمن. ولكن عندما نجد مَن آمن إيمانًا حقيقيًا، نعرف في الحال أنه معيَّن للحياة الأبدية.

ولم يُكرز بالكلمة في أنطاكية فقط، بل في المنطقة المحيطة أيضًا (في أسيا الصغرى)، وقد أثار نجاح العمل اضطهادًا عنيفًا، حتى إن بولس وبرنابا اُضطرا للرحيل. ربما اعتبرناها كارثة أن يتعرض هؤلاء التلاميذ الجُدد (الذين آمنوا حديثًا) للاضطهاد، وأن يخسروا معلميهم (برحيل بولس وبرنابا). إلا أن العمل في قلوبهم كان ثابتًا وراسخًا، حتى أنهم بدلاً من أن يصيبهم الاكتئاب والإحباط، «كانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس» (الآية٥٢). وبلا شك، أن التلاميذ كثيرًا ما يضربهم النجاح (والحياة السهلة) أكثر من الضرر الناتج عن الاضطهاد.

الأصحاح الرابع عشر

وفي "أيقونية" (في أسيا الصغرى أيضًا)، وهو المكان التالي في الزيارة، كان العمل مُماثلاً لذلك الذي تم في أنطاكية. فقد بشّروا بالكلمة في مجمع لليهود، وهنا أيضًا «آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين» (الآية١). وأيضًا هنا، جاءت المقاومة والاضطهاد من اليهود. واُضطر الرسولان، بسبب أعمال الشَغَب، أن يهربا إلى مدن أخرى.

وفي "لسترة" جرت معجزة عظيمة على يد بولس. فقد شُفى رجلاً مُقعدًا منذ ولادته، وهي معجزة تماثل تمامًا تلك التي جرت على يد بطرس، والتي قرأنا عنها في الأصحاح الثالث. وقد جرت تلك في قلب اليهودية، وبينما فتحت بابًا عظيمًا للشهادة، فإنها جلبت أيضًا على الرسل غضب رؤساء اليهود. أما هذه (في هذا الأصحاح) فقد جرت وسط الوثنيين، الذين فسروا هذه المعجزة المدهشة في ضوء معتقداتهم الكاذبة، وكان من الممكن أن يُقيموا احتفالاً وثنيًا، لو لم يعترض الرسولان، اللذان انتهزا الفرصة ليُعلنا لهم عن

الإله الحي الحقيقي، «الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» (الآية١٥). وكان أهل لسترة على وشك أن يفعلوا نفس ما أدان به بولس الوثنيين في رومية ١: ٢٥ **«عبدوا المخلوق دون الخالق، الذي هو مبارك إلى الأبد».**

وفي الآية ١٩ نجد صورة لتقلب الناس. فالناس الذين كانوا يريدون تأليه بولس، انقلبوا بسهولة ضده بتحريض من يهود تعقبوه (من أنطاكية وأيقونية - مدينتان في أسيا الصغرى)، **«فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات».** وفي هذا، تعرّض بولس لنفس ما ساعد في إيقاعه على "استفانوس". وفي حالة استفانوس لم يتدخل الله، ولكنه تدخل في حالة بولس. وسواء كان بولس قد مات فعلاً، أو رُجم حتى قارب الموت - وهو ما لا يمكننا معرفته - فإن إعادته للحياة في لحظة، كامل الصحة والقوة، كانت معجزة، بكل المقاييس. ففي اليوم التالي انتقل مع برنابا ليكرزا برسالة الإنجيل في مدينة أخرى، كأن شيئًا لم يحدث له.

وقد انتهت رحلتهما إلى "دربة"، وقد كانت رحلة مليئة بالكرازة والمشقات. وفي رحلة العودة، تفرغا للعمل الراعوي، يُشدّدان التلاميذ ويثبتاهم في الإيمان (الآية٢٢). وجدير بالملاحظة، أنهما لم يخفيا عن التلاميذ أن ضيقات كثيرة تنتظرهم، بل أخبراهم أنها حتمية، و**«أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله».** ولم يقولا إنه ربما نتعرض لبعض الضيقات لكي ندخل الملكوت، بل إنه ينبغي أن نتعرض لضيقات كثيرة.

وهذا القول ينطبق على زمننا أيضًا. قد نحاول أن نتجنب الضيقات، دون نجاح. وإذا كنا بسبب الجُبن نتحاشى الصدام مع العالم، فإن الضيقات تعترضنا في ظروف حياتنا اليومية، بل أيضًا في قلب كنيسة الله. وقد كتب

الرسول بولس نفسه «**لم يكن لجسدنا شيء من الراحة ... من خارج خصومات، من داخل مخاوف**» (٢كورنثوس ٧: ٥). وا بالبر الذي من ليوم، لنا أن نقول قولاً مُماثلاً، ولكن في أحيان كثيرة نعكس العبارة الأخيرة، ونقول إنه لدينا مخاوف كثيرة من خارج حتى أننا لا نجرؤ على محاربتها، وبالتالي كثيرًا ما نتورط في معارك مع دائرة قديسي الله – "فمن خارج مخاوف، ومن داخل خصومات". وسواء هذا أو ذاك، فالضيقات من نصيبنا.

بالبر الذي من وفي رحلة العودة أيضًا، وجدا وسط المؤمنين القُدامى بعضٌ قد تميزوا وبرزوا بصفات تؤهلهم أن يتولوا الرعاية الروحية، فانتخباهم قسوسًا (أي شيوخًا) (الآية٢٣). وكان يلزم التمييز الرسولي في هذا الانتخاب، وأيضًا روح الاعتماد الحقيقي على الله – ولذلك، لزمت الصلاة – ورفض رغبات (أهواء) الجسد (*the flesh*) – ومن هنا لزم الصوم. وعند اختيار الشيوخ، وبعد أن صاروا معروفين، لم يستودعوا بقية المؤمنين في أيدي الشيوخ. لا، لقد «**استودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به**» (الآية٢٣ – انظر أيضا أعمال٢٠: ٣٢). فكل مؤمن قد صار بالإيمان له علاقة وشركة مباشرة بالرب. ولم يُقام الشيوخ لكي يزرعوا الإيمان في القديسين، بل ليحفزوا هذا الإيمان ليصير أكثر واقعية وعمقًا.

ولم يمرا بقبرص في رحلة العودة، بل أخذا سفينة من إيطاليا إلى أنطاكية مباشرة (هذه أنطاكية سوريا وهي غير أنطاكية بيسدية في أسيا الصغرى)، وهناك جمعا الكنيسة و«**أخبرا بكل ما صنع الله معهما، وأنه فتح للأمم باب الإيمان**» (الآية٢٧). ولم تكن إرساليتهما من الكنيسة في أنطاكية بل من الروح القدس، ولكن الكنيسة كانت مهتمة جدًا بهذين الخادمين اللذين خرجا من وسطهم. ومن جانبهما أخبر الخادمان «**بكل ما صنع الله معهما**»، فالله هو

العامل، وهما ليسا إلا أداة سرَّ الله أن يستخدمها، والله هو الذي فتح باب الإيمان للأمم. وقد أثبتت الرحلة التبشيرية الأولى هذا دون جدل.

ولكن، بالرغم من هذا، لم تنجو خدمتهم من الجَدَل. ولم يعترض أحد عليهم في أنطاكية نفسها مدة إقامتهما الطويلة هناك، فمعظم تلك الكنيسة كانت من أصل أممي. ولكن عندما جاء قوم معينون من منطقة أورشليم، تغيَّر كل شيء بسبب تعليمهم أن الختان ضروري حتمًا للخلاص، وهذا ما لم يتبعه بولس وبرنابا. وقد سبق أن رأينا في الجزء الأول من أعمال ١١، أن حزب التهويد في أورشليم قد ناقشوا تبشير بطرس للأمم، ممثلين في كرنيليوس وأصحابه. وقد رُفض اعتراضهم، ووُفق على توجيه رسالة الإنجيل للأمم. والفكرة التي أُثيرت هنا هي أنه حتى إذا سُمح بهذا، فيجب أن يختتنوا لكي يخلصوا، وأن يُجرَى الختان **«حسب عادة موسى»** (أعمال ١٥: ١)، وبذلك ربطوا بينه وبين شرائع الناموس. وقد قاوم بولس وبرنابا هذا المطلب الجديد بكل تشدد، وفي النهاية صعدا مع آخرين إلى الرسل والمشايخ في أورشليم لمناقشة هذه القضية.

الأصحاح الخامس عشر

كانت أربع عشرة سنة قد مرت (غلاطية ٢: ١)، منذ الزيارة القصيرة التي قام بها بولس لأورشليم، بعد ثلاث سنوات من تغييره (غلاطية ١: ١٨)، كما هو مسجل أيضًا في أعمال ٩: ٢٦-٢٩. ويعطينا الأصحاح الثاني من الرسالة إلى مؤمني غلاطية بأكمله نظرة شاملة عما طُرح للبحث، والذي بدأ في أنطاكية (الآية١)، والذي فُصِل فيه في أورشليم، وهو ألا يمس الحق وحرية الإنجيل. ونكتشف أيضًا أنه في الأصحاح الذي بين أيدينا يقول إنهم في أنطاكية «رتبوا (قرروا) أن يصعد بولس وبرنابا وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ في أورشليم من أجل هذه المسألة» (الآية٢)، ولكننا نجد في غلاطية٢: ٢ أن "بولس" صعد إلى أورشليم «بموجب إعلان» - أي أن الرب كشف له بشكل محدَّد أن عليه أن يذهب. وأيضًا نجد أن بولس وُجِّه أن يتخذ موقفًا متشددًا في الموضوع؛ فأعطى مكانًا للذين قاوموه، ولكنه «**لم يذعن لهم بالخضوع ولا ساعة**» (غلاطية ٢: ٥). وأخذ معه تيطس، وهو يوناني، ولكنه لم

يخضع لأية ضغوط أن يُختتن. وتُبين الرسالة إلى مؤمني غلاطية بوضوح، أن بولس كان متأكدًا تمامًا من فكر الله في هذا الأمر، ولكن أُعلن له أن يوافق على إحالة الموضوع إلى أورشليم للفصل فيه.

وفي هذا، نرى بالطبع حكمة وسلطان الله. فلو أن بولس حاول أن يحسم الأمر، وأن يتصرف بناء على سلطانه الرسولي في أنطاكية، لحدث انقسام وقطيعة بينه وبين باقي الرسل. وما حدث (نتيجة الخضوع لحكمة الله وسلطانه) هو أن القرار لصالح حرية المؤمنين من الأمم، أُتخذ في نفس المكان، الذي لولا سيطرة الله بروحه عليه، كان يمكن أن يأخذ المسار العكسي. ولكن قولنا هذا مجرد تخمين.

وفي الرحلة إلى أورشليم، كانت الأخبار السارة عن عمل نعمة الله بين الأمم (التي أخبر بها بولس وبرنابا وتيطس) سبب سرور عظيم لجميع الأخوة (الآية٣) [في فينيقية (لبنان حاليًا) والسامرة]، ولكن في أورشليم، فُتحت القضية. وكان الذين يطالبون باختتان المؤمنين الذين من الأمم وحفظهم الناموس «أُناس من الذين آمنوا من مذهب الفريسيين» (الآية٥). كانوا مؤمنين حقًا، ولكن كانوا لا يزالوا متمسكين بفكر الفريسيين. هذه كانت المناسبة لانعقاد أول مجمع رسمي يجمع الرسل والمشايخ لفحص المسألة أمام الله.

وقد حدث جَدَل ومناقشات كثيرة، ثم ألقى بطرس خطابًا فاصلاً، أشار فيه إلى حالة كرنيليوس، التي كان هو متداخلاً فيها. وذكر أن الله العارف القلوب شهد لهم، «مُعطيًا لهم الروح القدس كما لنا (كما للمؤمنين من اليهود) أيضًا» (الآية٨)، مُشيرًا إلى ما حدث يوم الخمسين. وهؤلاء الأمم قد تطهروا، كما

دلت رؤيا الملاءة العظيمة (أعمال ١٠: ٩-١٦). لقد طَهَّـر الله «بالإيمان قلوبهم» (الآية٩)، وليس مجرد تطهيرًا طقسيًا.

والحقيقة هي أن الله كان قد فصل فى المسألة فعلاً من أساسها في حالة كرنيليوس. ونستطيع الآن أن نفهم، لماذا خُصصت كل هذه المساحة لهذه القضية في سفر الأعمال، لأن هذه هي المرة الثالثة التي تُعرض فيها أمامنا.

لقد كان الناموس نيرًا وضعه الله على عنق اليهود، وقد اختبروا هم وآباؤهم كم هو ثقيل «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (الآية١٠). ومحاولة فرضه على رقاب، لم يفرضه الله أصلاً عليها، هي تجربة لله نفسه. فنعمة ربنا يسوع المسيح هي الأمل الوحيد للخلاص، سواء لليهود أو للأمم. وصياغة الآية ١١ تلفت الانتباه، فهي لا تقول "نؤمن أن يخلصوا (الأمم) كما نحن أيضًا (اليهود)" بل «نؤمن أن نخلص (نحن اليهود) كما أولئك (الأمم) أيضًا». فليس هناك أساس لخلاص الأمم إلا النعمة، وعلى اليهود أن يدخلوا على نفس الأساس أيضًا.

ولا يفوتنا التباين الجميل بين متى ١١: ٢٩ وبين الآية ١٠ من الأصحاح الذي بين أيدينا. فليس لنير الناموس الذي يُحطم الأعناق أن يوضع علينا نحن الأمم، ولكن ليس معنى هذا أننا بلا نير. فنحن نحمل النير الهيِّن الخفيف لربنا المبارك يسوع، الذي أعلن لنا الآب.

وواضح من كلمات بطرس أنه قد استوعب الدرس الذي تعلمه من حالة "كرنيليوس" تمامًا. لقد أشار إلى أن الأمر قد حُسم هناك، وبذلك مهد الطريق لبرنابا وبولس ليُحدثا «بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم» (الآية١٢). وقد ذُكر برنابا هنا أولاً، لأنه من الواضح أنه كان

يستطيع، دون أدنى غيرة أو حسد، أن يتكلم بكل حرية، عن جميع ما صنع الله بواسطة بولس أساسًا. وكان محور شهادتهما هو أن ما فعله الله "في الواقع" بواسطتهما، يتفق مع ما أسسه "بطرس" من حيث المبدأ.

وبعد أن تكلم بطرس وبرنابا وبولس، تكلم يعقوب. ويبدو أنه كان له مكانة ويحمل مسؤولية خاصة في أورشليم، وتُشير غلاطية ٢: ١٢ إلى أنه كان معروفًا عنه موقفه المتشدد بالنسبة للحدود المسموح بها في الاختلاط في كنيسة الله بين اليهود والأمم. إلا أنه أيّد إعلان بطرس، ثم أشار إلى أن أقوال العهد القديم تُسانده. فقد تنبأ عاموس (٩: ١١) أنه ستأتي أيام سيُدعى فيها باسم الرب على الأمم. وإذا رجعنا إلى نبوته، نستطيع أن نرى أن نظرته كانت تمتد إلى أحوال المُلك الألفي، لذلك لم يقتبس يعقوب كلمات النبي على أنها تحققت، بل على أساس أنها تتفق مع ما سمعوه.

والكلمات التي لخّص بها يعقوب شهادة بطرس، جديرة بانتباه خاص «سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعبًا على اسمه» (الآية١٤). هذا هو برنامج الله في التدبير الحالي. فرسالة الإنجيل لم تُرسل بين الأمم بهدف تغييرهم كشعوب، وبذلك تصير الأرض مُهيأة لعودة المسيح إليها، بل لتغيير أفراد، وبذلك يخرجون من شعوبهم ليكونوا خاصة «على اسمه». هذه حقيقة أساسية جدًا. وإذا أخطأنا في هذه النقطة، سنخطئ في طبيعة التدبير الذي نعيش فيه بأكمله. وستخضع الشعوب فقط عندما تأتي دينونة الله على الأرض، كما يقول إشعياء ٢٦: ٩ بوضوح. فرسالة الإنجيل تنتشر في الأرض لكي يُدعى المختارون من كل من اليهود والأمم، وهؤلاء المختارون هم "كنيسة الله".

وبعد أن قال هذا، قدَّم يعقوب ما يعتقد أنه فكر الله بالنسبة للمسألة المعروضة. وكان "حكمه" أو "رأيه" هو أن لا يوضع نير الناموس على عنق المؤمنين من الأمم، بل أن يوجِّهوا فقط إلى مُراعاة محظورات معينة في أمور كانوا لا يهتمون بها من قبل. فالأصنام والزنا معروف أنها شر، حتى قبل إعطاء الناموس، وكذلك أكل الدم، كما يبين تكوين ٩: ٤. فالله يعرف من البداية ما سيستجد مع مرور الزمن. وكانت الدعوة والاختيار من الأمم جديدة بالنسبة لهم، ولكن ليس بالنسبة لله، وكان عليهم أن يتوافقوا مع فكر الله، وبالنسبة لموسى، كانت كلماته تُقرأ في المجامع في كل مدينة كل سبت.

الرأي الذي عبَّر عنه يعقوب أقنع المجمع كله. فقد عُرِض عليهم أولاً، شهادة بطرس عن ما فعله الله في موضوع كرنيليوس، وثانيًا: سمعوا من برنابا وبولس بيانًا عن أعمال الله في رحلتهم التبشيرية، وثالثًا: صوت كلمة الله، كما اقتبسها يعقوب "فما قاله الله اتفق مع ما فعله". لقد اجتمعوا ليطلبوا فكر الله، وبكلماته وأعماله استطاعوا أن يميّزوه بوضوح، وكان للجميع فكر واحد. وبذلك، فُصِل في قضية صعبة، كان من الممكن أن تُحدث شرخًا في الكنيسة كلها، وانتهت بتقريبهم إلى بعضهم البعض. وعندما صعد برنابا وبولس إلى أورشليم، كانوا كرجال مُعرَّضة خدمتهم للفحص والشكوك. وعندما انصرفا كانا يحملان معهما خطابًا يصفهما «بحبيبينا برنابا وبولس» (الآية٢٥).

وأيضًا يصفهم الخطاب «رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح» (الآية٢٦). إنها ليست مغامرة الشخص بنفسه، كما يخاطر المُغامر بماله عند رمي حجر النرد (الزهر)، بل هو بذل الشخص لنفسه تعني أن

يضحي الشخص بنفسه للموت فعلاً. وأي شخص يضحي بنفسه بهذه الطريقة، يجب أن يقدَّر ويوصف بأنه محبوب في كنيسة الله. وخطاب كهذا، من مؤمنين من أصل يهودي إلى مؤمنين من أصل أممي، ينبض بروح الحب والشركة والوحدة. وكان في إمكانهم حقًا أن يقولوا: «رأى الروح القدس ونحن» (الآية٢٨)، فبهذا القدر كانوا متأكدين أن الروح القدس هيمن على قرارهم. فإخضاع الأمم للناموس معناه تخريب نفوسهم.

كل هذا ينطبق علينا اليوم. وقد ظهرت نفس نوع المشكلة، بين الغلاطيين بعد هذا بقليل، ومحاولة خلط الناموس والنعمة، كثيرًا ما نراه في أيامنا هذه. وهو أمر لا يمكن أن يحدث إلا ويحدث معه القضاء على كمال (ملء) النعمة، وتخريب نفوس مَن تشرَّبوا بمثل هذا التعليم.

وتبين الآيات ٣٠-٣٣ في هذا الأصحاح، كيف أن التبرير بالنعمة والحرية المترتبة عليه، ساهما في تأسيس وفرح المؤمنين من أصل أممي في أنطاكية. وأيضًا مارس يهوذا وسيلا، المُوفَدين من أورشليم، خدمتهما النبوية وشدَّدا الأخوة. هذا يبين مقدار الحرية التي كانت مُتاحة لمَن لديه موهبة أن يمارسها في أي مكان، وفي وجود رجال قد تكون موهبتهم أعظم في جوانب كثيرة - لأن بولس وبرنابا كانا قد عادا الآن إلى أنطاكية.

بعد هذا بقليل، اقترح بولس على برنابا أن يقوما برحلة راعوية، للمناطق التي سبق أن بشَّروها. وتنبض كلمات الآية ٣٦ بروح الراعي الحقيقي، الذي يريد أن يطمئن على أحوال المؤمنين. فنجاح نفوسهم هو أعظم ما يشغله. والمحزن أن اقتراح بولس الممتاز هذا، صار المناسبة للخلاف (للقطيعة) بين

هذين الخادمين المكرَّسين للرب. فقد اقترح برنابا أن يأخذا معهما مرقس (ابن أخت برنابا) مرة ثانية. أما بولس متذكِّرًا ترك مرقس لهما سابقًا، وعدم ذهابه معهما للعمل، فلم يستحسن ذلك، وهذا الاختلاف في الحكم، ولَّد فيهما مشاعر مشتعلة، حتى أنهما افترقا لأنهما لم يعودا يستطيعان أن يعملا معًا. فذهب برنابا إلى قبرص حيث بدأت أول رحلة لهما، واتجه بولس إلى أسيا الصغرى (تركيا حاليًا)، التي توسعت فيها هذه الرحلة. واختار بولس رفيقًا جديدًا هو سيلا (سلوانس)، وخرج مُستودَعًا من الأخوة إلى نعمة الله (الآية٤٠). ويبدو أن برنابا خرج بعجلة، قبل أن يتمكن الأخوة من أن يصلّوا من أجله.

لا يليق بنا أن نحكم على هذين الخادمين البارزين للرب، ولكن يبدو أن ما سُجّل يشير إلى أن برنابا تأثر أكثر بالقرابة الطبيعية، وأن تعاطف الأخوة كان مع بولس. إلا أن المشاعر المشتعلة والخلاف وُجد بينهما، وروح الله لا يخفي هذا. فعلينا ألاّ نعتقد أن بولس كان رجلاً يختلف في المشاعر عنا. فلم يكن كاملاً، كما كان سيده.

الأصحاح السادس عشر

يُفتتح هذا الأصحاح بعودة بولس إلى دربه ولستره، أي عودته إلى الأماكن التي تعرَّض فيها للرجم. وفي نفس تلك الأماكن، وجد الآن تيموثاوس، الذي صار في سنواته الأخيرة مصدر راحة له. وهو صورة سعيدة لكيف تعمل حكومة الله لصالح أتقيائه. بينما نحن عُرضة أن نفكر أنها تعمل فقط ضد غير الأتقياء. وفي نفس المكان الذي تعرَّض فيه بولس للضيقات نشأت أعظم أسباب راحته.

وقد برز موضوع أن تيموثاوس لن يكون مقبولاً في الدوائر اليهودية، لأنه لم يكن مختونًا، لأن أباه كان يونانيًا (بينما كانت أمه يهودية). وكان بولس يعرف هذا، فأخذه وختنه (الآية٣)، وهو تصرف يبدو على السطح مخالفًا تمامًا لموقفه بالنسبة لتيطس (انظر غلاطية ٢: ٣-٥). ولكن هناك، كان حق الإنجيل ككل متوقف على هذه القضية، بينما هنا لم يكن في الأمر قضية. ففي حالة تيموثاوس، كانت المسألة إزالة شيء يمكن أن يعوق خدمته للرب، ولم يكن بولس مهتمًا أن يكتسب لنفسه صورة التوافق مع أمر متأصل في النفس. وهنا أعطاه الله معينًا في العمل، وكان من الضروري إزالة كل ما يمكن أن يعوق عمله.

وتغطي أربعة آيات قصيرة (٥-٨) جولة بولس الطويلة نوعًا ما في أسيا الصغرى في رحلته الثانية. وتشمل خدمات من النوع الراعوي، حيث جالوا في أقاليم كانت فيها كنائس قائمة فعلاً نتيجة لعمله السابق هناك، «وكانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايخ الذين في أورشليم ليحفظوها» (الآية٤)، «فكانت الكنائس تتشدد في الإيمان وتزداد في العدد كل يوم» (الآية٥). ثم انتقلوا إلى أقاليم جديدة، "فريجية" و"غلاطية"، و"ميسيا"، وفي هذه الأقاليم قاموا بعمل المبشر بالطبع. وواضح أنه في هذه المناسبة استُقبلوا استقبالاً حافلاً من الغلاطيين، والتي يشير إليها في غلاطية ٤: ١٣-١٥. وكان هذا أيضًا الوقت الذي مارس فيه الله تحكمًا قويًا على تحركاتهم. فعندما وصلوا إلى "ميسيا"، كانت "بيثينية" تقع إلى الشمال أو الشمال الشرقي، وتقع أسيا الصغرى إلى الجنوب. وكان يمكن أن يذهب إلى أي من الاتجاهين، إذا سُمح له. وفي الحالة السابقة منعه الروح القدس بشكل مباشر، وفي الحالة الأخيرة «لم يدَعهم الروح»، ومن الواضح أنها تشير إلى توجيه ليس مباشرًا، وأنه كانت أكثر بمقتضى الظروف الحاصلة.

وكانت ترواس تقع على شاطئ بحر مقاطعة ميسيا [بحر إيجه بين أسيا الصغرى (تركيا) واليونان]، وهناك تلقّى بولس توجيهًا إيجابيًا برؤيا في الليل لرجل مكدوني ... يطلب إليه «اعبر إلى مكدونية (في اليونان) وأعِنا» (الآية٩). وهكذا نجد هنا، على مدى خمس آيات، ينقل التوجيه إلى بولس بثلاثة طرق مختلفة، اثنتان سلبيتان (بالمنع)، وواحدة إيجابية (بالتحرك). هذه تُقدّم طرق التوجيه لأي شخص يتمسك بالتوجيه الإلهي، إلا إذا كان يريد أن يتلقاه بطريقة واحدة من اختياره هو.

وإذ قبلوا الرؤيا كتوجيه لهم من الله، أطاع بولس ومرافقيه في الحال، وتبين الآية ١١ أن الله حوّل الرياح لصالحهم، وكانت رحلتهم سريعة، لأننا نلاحظ في أعمال ٢٠: ٦، أنه بعد سنوات عندما قام بالرحلة في الاتجاه العكسي، استغرقت الرحلة خمسة أيام. وفي ترواس (في أسيا الصغرى)، من الواضح أن "لوقا" كاتب السفر، انضم إلى بولس، لأنه في الآيات٤، ٦، ٧، ٨ يشير الضمير إلى "هم" (يجتازون، اجتازوا، يتكلموا، مروا)، بينما في الآية ١٠ يتحول فجأة إلى ضمير المتكلم الجمع "نحن" (طلبنا، متحققين)، ويستمر هذا في وصف ما حدث في فيلبي.

وكانت فيلبي تتميز بوضع المستعمرة الرومانية (كولونية)، ولذلك كان العنصر الروماني غالبًا فيها، وربما في المقابل كان العنصر اليهودي ضعيفًا. ولم يكن بها مجامع لليهود، وكان كل المتوفر هو مكان خارج المدينة بجانب النهر حيث تُقدّم الصلاة للإله الحقيقي. وقد قصدوا ذلك المكان، ووجدوا هناك بعض النساء فقط اللواتي تجمّعن هناك، فجلسوا وتكلّموا معهن (الآية١٣). لم تكن تبدو بداية واعدة، ولكن بولس كان من نوع الرجال الذين يقبلون الأشياء البسيطة، ويستفيدون منها. ولم يتخذ معهن أسلوب الوعظ الرسمي، بل جلس وتحدث معهن بشكل ودّي (غير رسمي). وكان لهذه البداية المتواضعة، نتيجة عظيمة. فتأسست هناك كنيسة، كانت ممتلئة بالنعمة أكثر من كنائس أخرى. وكانت سبب راحة له.

لقد بدأ العمل في قلب "ليديا"، الذي انفتح لله. وعبارة «متعبدة لله» التي وُصفت بها "ليديا" (الآية١٥)، تشير إلى أنها كانت تطلب الله، وصارت دخيلة، والآن برسالة الإنجيل التي بشرها بها بولس، وجدت ما كانت تسعى إليه بالتمام. وكان العمل في قلب ليديا بهدوء ولكن حقيقي، وقد اعتمدت هي وأهل بيتها، وفي الحال انضمت إلى خدام الله، بفتح بيتها لهم.

والحَدَث التالي هو المواجهة مع جارية فتحت قلبها لروح شيطانية. وقد تظاهرت بالشهادة لبولس ورفقائه، وهذا كان من الممكن أن يرضي البعض (غير هؤلاء)، الذين كان من الممكن أن يقولوا "نعم، نحن خدام الله، وإذا كانت تريد أن تُعلن عنا، فلندعها تفعل ذلك". إلا أن بولس لم يكن قصير البصر بهذا الشكل. لقد رأى أن شهادة الشيطان لها ولخدمتها ليست مكسبًا، بل كارثة، وقد رفض شهادتها، وأمر الروح النجس أن يخرج منها. واضطر الروح أن يطيع، وعرف مواليها (أصحابها) أن مصدر مكسبهم قد ضاع منهم. هذا أثارهم، فجرّوا "بولس" و"سيلا" إلى الحكام، بتهمة صاغوها بحيث تثير حفيظة الرومان ضدهم: **«قالوا هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا وهما يهوديان ويناديان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها، إذ نحن رومانيون»** (الآية٢٠، ٢١). هذا أثار الجمع، وأزعج الحكام، فتصرّفوا بأسلوب غير روماني. فلم تُقام لهما محاكمة عادلة، ومزقوا ثيابهما، وضربوهما بالعُصي، وأُلقيا في السجن الداخلي، مع التوصية لحافظ السجن أن يعاملهما بقسوة.

وتحت ظل هذه الظروف، تصرّف حافظ السجن بقسوة زائدة، وحل الليل عليهما في هذه المِحنة المُحزنة. هل تعرضا للريبة والشك، وهل طرأ على فكرهما أن رؤيا الرجل المكدوني كانت وَهمًا؟ ربما، لأنهم كانوا رجالاً في الضعف مثلنا. ولكن إذا كان هذا قد حدث، سرعان ما انتصر الإيمان، وفي أشد الساعات ظلامًا، كانا ليس فقط يصليان بل ويسبحان الله **«والمسجونون يسمعونهما»** (الآية٢٥). وفجأة تدخّل الله، ولم يفتح الزلزال الأبواب – التي كانت مُحكمة الإغلاق فقط – بل انفكت قيود المسجونين، وهذا ما لا يفعله زلزال عادي.

ولعلمه بقسوة القانون الروماني بالنسبة للتهاون في حراسة السجناء، كان

حافظ السجن على وشك أن يقتل نفسه، عندما وصلت صرخة بولس إلى أذنيه «لا تفعل بنفسك شيئًا رديًا». وحقيقة أنه «خلب ضوءًا» (الآية٢٩)، تُبين أنهم كانوا جميعًا في ظلام دامس. فكيف عرف بولس ما عزم حافظ السجن أن يفعله؟ إن صرخة بولس المُفاجئة كانت بوضوح بوحي من روح الله، لقد كان بمثابة صوت من الله لحافظ السجن. ها هو أخيرًا الرجل المقدوني. وقد «خر لبولس وسيلا (أمام السجناء) وهو مرتعد» (الآية٢٩). وسرعان ما سأل السؤال العظيم، الذي ما يزال ملايين الخطاة الذين يبكّتهم روح الله، يسألونه من ذلك الحين. وقد تلقى الإجابة الخالدة، التي ما زالت تُستخدم لتنوير وخلاص نفوس لا يحصرها عدد «آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك» (الآية٣١).

كثيرًا ما نستخدم هذه الآية، وكثيرًا أيضًا ما نحذف الثلاث كلمات الأخيرة. مع أن الله يحب أن يضم بيت الرجل إليه، ويشملهم في عرض البَركة. فلماذا كثيرًا ما لا نُدخل هذه الحقيقة إلى إيماننا؟ لقد رأينا قبل هذا في نفس هذا الأصحاح، المرأة التي آمنت و«أهل بيتها»، والآن نرى الرجل الذي آمن و«الذين له أجمعون» (الآية٣٣). وهذا، مشجِّع جدًا بالتأكيد لكل رأس بيت (أسرة) تصل إليه نعمة الله، فليس هناك تحيز لدى الله، وما يقدّمه لواحد، يقدمه للجميع.

وقد آمن حافظ السجن، وأظهر إيمانه بأعماله دون تأخير. عندئذٍ، مع أن الليل كان لا يزال باقٍ «اعتمد في الحال هو والذين له أجمعون» (الآية٣٣). هذا دليل قوي واضح أن المعمودية ليست ممارسة مقصود بها اعتراف الشخص بإيمانه، ولذلك، ينبغي أن تُمارس علَنًا. ولو كانت هكذا، فيا لها من فرصة عظيمة ضاعت هنا! وكم كان سيكون مؤثِّرًا، لو تم هذا في اليوم التالي، عندئذٍ كان الرأي العام سيتحول لصالح بولس! لا بد أن الفوضى عمَّت المدينة

بسبب الزلزال، ولكن حافظ السجن وأهل بيته كانوا قد قطعوا صيلتهم بحياتهم القديمة دون تأخير، **لأن المعمودية معناها الانفصال، بواسطة موت المسيح.**

وعندما تراجع الولاة عن موقفهم في اليوم التالي (وأرادوا أن يطلقوا سراح بولس وسيلا سرًا)، انتهز بولس الفرصة ليواجههم بأنهم هم أنفسهم قد تعدّوا على القانون، حيث إنه هو وسيلا كانا مواطنين رومانيين (يحملان الجنسية الرومانية). ولكنه لم يتمادَ، أو يسعى للانتقام بأية طريقة. إلا أن أمورهم سارت في يُسر، وأُتيح لهم الوقت أن يريا الأخوة، وأن يعزياهم قبل أن يرحلا. ومن الرسالة إلى مؤمني فيلبي، يمكن أن نرى كيف تقدّم العمل بعد رحيلهما.

الإصحاح السابع عشر

لا يعطينا لوقا أيّة تفاصيل عما حدث في أمفيبوليس وأبولونية، بل ينتقل إلى أحداث تسالونيكي. وفي هذا الأصحاح، نلاحظ عدم استخدام ضمير المتكلم الجمع "نحن"، ولذلك، من المحتمل أن لوقا الذي لم يشترك في أحداث الاضطرابات في "فيلبي" مثل بولس وسيلا، بقي هناك ليساعد المؤمنين الجُدد أكثر.

وفي تسالونيكي، كان بولس في البداية يخاطب اليهود في مجامعهم، كعادته. وتُبيِّن الآية ٣ المدخَل الذي تعامل به معهم. فبرهن لهم من كتبهم (أسفار العهد القديم) أن المسيا، عندما جاء، كان ينبغي أن يذوق ألم الموت، ويقوم من الأموات. وعندما يُقرّون بهذا، من السهل أن يبين أن المسيح هو المسيا، بلا جدال. وهكذا، في آية واحدة، يقدّم لنا الموضوع كله، في إيجاز شديد. مهما طال الجَدل، فإن الموضوع كله لُخِّص في هذه الكلمات القليلة، وهي تُعتبر مرشدًا لكل مَن يتعامل مع اليهود اليوم. ولم يؤمن الجميع، ولكن البعض آمنوا، وأيضًا كثير من اليهود اليونانيين، وبعض النساء المتقدمات (صاحبات المكانة الاجتماعية).

في فيلبي حدث الشَغَب من جانب أمم ضاع مصدر مكسبهم، عندما أخرج بولس روح العرافة من الجارية التي كانوا يتكسبون من ورائها، أما في تسالونيكي، فكان اليهود غير المؤمنين هم مصدر معارضة وشَغَب أشد. وفي اتهامهم لبولس وسيلا ومَن معهم بأنهم فتنوا المسكونة (ليس أنهم نالوا إعجابًا، بل بمعنى أنهم أحدثوا فتنة، أو قلبوا المسكونة رأسًا على عقب)، قدّموا - دون أن يقصدوا - مدحًا عظيمًا لقوة رسالة الإنجيل العظيمة، الذي بُشِّر به بالروح القدس، النازل من السماء. في إمكانهم أن يقاوموه، ولكن ليس في مقدورهم أن يُوقفوا انتشاره.

ولم تستمر خدمة بولس في تسالونيكي طويلاً بسبب هذا الشَغَب، لأنه كان يخدم بروح إرشاد الله المُسجّل في متى ١٠: ٢٣. وهكذا، انتقل بولس وسيلا إلى "بيرية"، حيث أظهر اليهود روحًا مختلفةً تمامًا. فقد كانوا يتميزون بانفتاح الفكر، وهذا هو المقصود من وصفهم بكلمة «أشرف» (الآية١١)، وعندما بيَّن لهم بولس ما سبق أن أنبأت به الكتب، بحثوا بتدقيق «هل هذه الأمور هكذا؟» (أي هل هذا التعليم يتفق مع الكتب؟)، وبناء عليه آمن كثيرون. إن الفكر المستعد، والخالي من التعصب (أو الموقف المُسبق)، والذي يخضع لكلمة الله بفرح، هو في الحقيقة شيء نبيل (شريف).

إلا أن عداء التسالونيكيين لكلمة الله، بلغ حدًا، حتى إنهم تعقبوا بولس إلى "بيرية". وفي مواجهة المزيد من المشكلات، انسل بولس إلى أثينا، فأفلت ممن كانوا يتعقبونه بهذه الحيلة البسيطة بأن جعلهم يعتقدون أنه متجه ليسافر بالبحر (الآية١٤). وبقى سيلا وتيموثاوس في بيرية، لأنه كان واضحًا الآن أن العداء موجَّه بشكل محدَّد إلى بولس شخصيًا. وبذلك، في زيارته لأثينا، المركز العظيم للثقافة والحكمة اليونانية (الإغريقية)، كان بولس بمفرده وحيدًا، بدون رفقائه في الخدمة.

كانت أثينا هي المركز العظيم للعلم والفلسفة الإغريقية، كما كانت أيضًا مملوءة أصنامًا. فأعظم ثقافة للبشر يمكن أن تعيش، جنبًا إلى جنب، وفي توافق تام، مع أحط عبادة؛ وهي عبادة الأوثان. وفي وسط هذه الحالة من الأمور، وجد بولس نفسه وقد جعل هذا المنظر روحه تحتد فيه (الآية١٦). ومع أنه كان لا يزال بدون رفقائه، لم يستطع أن يرتاح في هذا الوضع، ولذلك بدأ يشهد لليهود واليونانيين. وبهذه الطريقة جذب انتباه فلاسفة مُعينين. هؤلاء الرجال، مع أنهم ينتمون إلى مدارس متعارضة*، وقد عاملوه باحتقار «قال بعضٌ، تُرى ماذا يريد هذا المهذار (المُهرج المُخرف) أن يقول؟» (الآية١٨)، إلا أن فضولهم (أي حب الاستطلاع لديهم) أُثير بدرجة جعلتهم يرغبون أن يسمعوا منه المزيد. وبذلك، أُتيحت له الفرصة أن يتحدث أمام مجمع من أكثر العقول ثقافة في ذلك الوقت.

وتعطينا الآيات من ١٨-٢١ لمحة عن الأحوال السائدة في أثينا في ذلك الوقت. فقد كان هناك نشاطًا لا يهدأ، وبحث وفحص مستمر للأفكار الجديدة. وكانوا يقضون وقتهم إما في الكلام أو الاستماع إلى شيء جديد ــ ليس بالطبع تناقل كلام أو إشاعات لا قيمة لها، بل أحدث الأفكار الفلسفية. ولذلك فكلام بولس عن «يسوع والقيامة» (الآية١٨)، لفت انتباههم لحداثته، وارتباطه بإله غريب عليهم.

* ملحوظة للمترجم: هدف الإنسان حسب الفلسفة الأبيقورية هو "السعي إلى اللّذة"، بكل أشكالها، ودون أية قيود. وكان شعارها «كل الأشياء تحل لي». وقد حولت حكمة الله هذا الشعار الفاسد إلى مقياس للسلوك المسيحي بأن أضافت إليه ثلاثة ضوابط: «ليس كل الأشياء توافق»، و«ليس كل الأشياء تبني»، و«لا يتسلط عليَّ شيء». أما حسب الفلسفة الرواقية، فهدف الإنسان هو السعادة. وهو شعار برّاق ولكن خادع، لأنه ما هو السبيل للوصول إليها؟! وقد كانت هاتان الفلسفتان مصدر بدعتين هدامتين. الأولى هي "الدوسيتية"، وهي تنكر أن المسيح كان له جسد حقيقي لأن الجسد شر، وهي بذلك تنكر حدوث الفداء، لأنه أي جسد صُلب وأي دم سال؟! والبدعة الثانية هي "الغنوسية"، وهذه قالت إن علاقتنا بالله علاقة عقلية خالصة، والجسد ليس طرفًا فيها، وله أن يفعل ما يشاء، دون حساب. وقد قاومت رسائل يوحنا الرسول وبطرس ويهوذا هاتين البدعتين.

وكان الأبيقوريون يؤمنون أن الخير الأعظم هو في إشباع رغبات الفرد، والرواقيون يؤمنون بضبط هذه الرغبات، ولكن ما هي هذه الأفكار الجديدة؟

وقد افتتح بولس خطابه لهم على جبل الإله "مارس" بأن قال لهم إنهم "غارقون في الخرفات" أو "يمارسون عبادات شيطانية". فمن بين مذابحهم الكثيرة، كان هناك مذبحًا «لإله مجهول»*، لئلا يكون هناك إله يجهلونه، ويحتاج إلى استرضائه. فالتقط بولس هذه النقطة، وجعلها أساسًا لتبشيره، لأنه فعلاً وحقًا كان الإله الحي هو الإله المجهول بالنسبة لهم. وأعلن لهم بولس عن الإله الذي يجهلونه، وعندما ندرس حديثه المختصر إليهم، نستطيع أن نرى كيف صورَّ الله أمام عيونهم. فبالنسبة لأمور الله، كان هؤلاء الأثينيون المثقفون مجرد عَبَدة أوثان، ولذلك نجد في هذا توجيهًا لنا عن كيفية تقديم رسالة الإنجيل لمَن لا يعرفون شيئًا عن الله.

وقد بدأ بولس بتقديم الله لهم بصفته «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه». فهذا هو الأساس لكل شيء. وإذا لم نعرفه بهذه الصفة، فنحن لا نعرفه على الإطلاق. هذا هو السبب في التأثير الكارثي "لنظرية التطور". فجاذبيتها الأساسية للكثيرين هي أنها تمكنهم من الاستغناء عن الله نهائيًا، أو على الأقل أن تدفعه إلى مكان مُهمَل في المؤخرة، لا يستحق التفكير فيه. أما بولس فأعطاه مكانه الصحيح في مقدمة الصورة التي قدمها. فالله لم يخلق العالم فقط، بل كل

---

* هناك قصص مختلفة عن المذبح الذي أُقيم «لإله مجهول». إحداها أن وباءً اجتاح المدينة. فقدموا ذبائح للآلهة المختلفة لاسترضائها. ولكن الوباء لم يتوقف، فاستنتجوا أن هناك إله مجهول هو سبب ذلك الوباء، فأقاموا له هذا المذبح. قصة أخرى أنهم أطلقوا خرافًا ليعرفوا من هو الإله الذي أتى عليهم بالوبإ. فمن تستقر عند مذبحه الخراف يكون هو الإله الغاضب عليهم. فاستقرت خراف في مكان ليس فيه مذابح، فاستنتجوا أن هناك إله يجهلونه هو الذي يلزم إرضاءه. المهم أن بولس بحكمة الروح القدس لم يستخف ولم يهزأ بتفكيرهم – وهم الفلاسفة – بل مدح ميلهم للتدين. واتخذ من هذه النقطة مدخلا ليبشرهم بالإله الحي الحقيقي «فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أُنادي لكم به». (المترجم)

ما فيه أيضًا. وهو لا يمكن أن يسَعه أي مبنى يبنيه الإنسان (مهما كانت ضخامته)، ولا يُعبَد كأنه يحتاج شيء من يد الإنسان. فهو نفسه واهب الحياة وكل الأشياء (الآية٢٤، ٢٥). وكل البشر هم خليقته (صنعة يديه)، صنعهم من دم واحد، و«حَتَّم (حَدد بشكل مُلزم) بالأوقات المعيَّنة وبحدود مسكنهم» (الآية٢٦).

كان لديهم بعض وَمضات من نور عن هذه الأمور. (ولا شك أن الله هو الذي أشرق بها عليهم، لأن الله لا يترك نفسه بلا شاهد). وقد استطاع بولس أن يقتبس بعضًا من أشعارهم التي تتكلم عن البشر أنهم ذُرية الله (الآية٢٨)، وقد كانوا على حق في هذا. صحيح أنه فقط بالإيمان بالمسيح نصير أولاد الله (يوحنا ١: ١٢)، ولكن جميع البشر هم ذريته بالخليقة. ولذلك، لا ينبغي أن نظن أن الله أقل منا، أو أن نصنعه بأيدينا (يُشير هنا إلى الأصنام التي صنعها الإنسان بيديه ثم عبدها)، بل أن نطلب الله فنجده، لأنه «عن كل واحد منا ليس بعيدًا» (الآية٢٧). ووجوده ملموس في الكلمات «به نحيا ونتحرك ونوجد» (الآية٢٨)، ولكن بولس بشَّر به كمَن هو فوق الجميع «رب السماء والأرض» (الآية٢٤).

ولكن إله الخليقة هذا، هو أيضًا إله **طول الأناة** (الصبر). فالبشر لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، وبذلك صارت الشعوب تجهله. لقرون كان الأثينيون يفتخرون بثقافتهم وعلمهم، ولكن هذه كانت «أزمنة الجهل» – جهل عن معرفة الله – وقد عَرَّفهم بولس بوضوح أن الله في طول أناته تغاضى عن أزمنة الجهل، ولكنه في الوقت نفسه حدَّد «يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل» بالمسيح (الآية٣١).

ولكن المسيح قد جاء، والله يعلن نفسه كإله الدينونة العادلة. وقد عيَّن (حدد) يومًا، فيه سيأخذ في يده مقاليد الحكم برجُلٍ قد عيَّنه (اختاره) وستُدان المسكونة

كلها بالعدل. وما دام الأمر هكذا، فالتوبة هي السبيل الوحيد أمام «جميع الناس في كل مكان». فهي الشيء الوحيد السليم، والله يأمر به (الآية٣٠).

والبرهان على مجيء يوم الدينونة العادلة هذا، هو في قيامة الرجُل الذي عيَّنه الله. وبذلك، قدم بولس الله في النهاية، كإله القيامة. فما حدث هو خارج تمامًا على كل حسابات البشر. فيسوع قد قام من الموت الذي حكم به الإنسان عليه. وقد بدأ بولس عمله في أثينا بإعلان يسوع والقيامة بين المترددين على السوق، وقد انتهى بنفس الموضوع في كلامه مع المفكرين على جبل "مارس".

كان فكرهم المُتقد يدور في مجال عالم الإنسان، ولذلك كانت القيامة خارج مجال رؤيتهم. وبالنسبة للكثير منهم بدأ الأمر غامضًا، فاستهزأوا به. وآخرون أظهروا اهتمامًا، ولكن أجّلوا مناقشته إلى وقت لاحق، فلم يكن هناك داعٍ للاستعجال (الآية٣٢). إلا أن البعض آمنوا - رجالاً ونساء - وهؤلاء التصقوا ببولس. وهذه النوعيات الثلاثة، تظهر عادةً، عندما يُنادى بالإنجيل في أي مكان: فهناك المستهزئون، والمؤجّلون، والمؤمنون.

وقد مكث بولس في أثينا وقتًا قصيرًا، ولكنه لم ينتظر وصول مرافقيه، بل اتجه إلى كورنثوس. ولذلك من المُحتمل أن الذين قالوا «سنسمع منك عن هذا أيضًا»، لم تُتح لهم فرصة لذلك بعد هذا.

الأصحاح الثامن عشر

يُفتتح هذا الأصحاح بوصول بولس إلى كورنثوس، وهناك تقابل مع أكيلا وبريسكلا. وقد كان قرار الإمبراطور كلوديوس المتعسف (بطرد اليهود من روما) هو السبب في التقاء بولس بهما، وهذا أدى إلى اهتدائهما وتعرفهما بالمسيح، ثم خدمتهما له بعد هذا، تلك الخدمة التي أشاد بها بولس في الرسالة إلى مؤمني رومية ١٦: ٣، ٤ «**سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع. اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي. اللذين لست أنا وحدي أشكرهما، بل أيضًا جميع كنائس الأمم**». (ويذكرهما أيضًا في ١كورنثوس ١٦، ١٩؛ ٢تيموثاوس ٤: ١٩). وقد حوّل الله قرار الطرد هذا للخير، فالله يحوّل غضب الإنسان لحمده (مزمور٧٦: ١٠). ونثق ونصلي أن يعمل بنفس الطريقة بالنسبة للقرارات الحديثة ضد شعب الله دائمًا. وقد أقام بولس مع هذين الزوجين، وبدأ عمله في مجمع اليهود. وهنا انضم إليه سيلا وتيموثاوس، وصارت شهادة بولس أكثر قوة وجرأة. ثم، بسبب مقاومة اليهود ورفضهم، اتجه إلى الأمم (الآية٦).

«فانتقل من هناك» (الآية٧)، أي من الشهادة في المجمع، وواصل شهادته في «بيت رجل اسمه يوستس ... وكان بيته ملاصقًا للمجمع». ولكن الله عظَّم عمله بشكلٍ واضح، فحتى «كريسبس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته. وكثيرون من الكورنثيين إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا» (الآية٨). وفي رؤيا، شجَّع الرب بولس أن يتكلم بجراة ولا يسكت، وأكَّد له أنه لن يصيبه أذى هناك، مثلما سبق أن اختبر في أماكن أخرى. «فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة الله» (الآية١١). وقد دُبِّرت مؤامرة ضده، ولكن هذه تبدَّدت بيد الله، مستخدمًا عدم مُبالاة وعدم اكتراث "غاليون" والي أخائية، الذي تعامل مع الموضوع كله على أنه جَدَل حول كلمات وأسماء، وهو لا يعبأ بمثل هذه الأمور «لأني لست أشاء أن أكون قاضيًا لهذه الأمور» (الآية١٥). وهكذا يستطيع الله أن يستخدم مزاج الحاكم، وأيضًا قرار الإمبراطور، لخدمة مقاصده، ولم يترك بولس كورنثوس إلا بعد فترة من الوقت.

وبهذه الإقامة الطويلة في كورنثوس، تقترب رحلة بولس التبشيرية الثانية من نهايتها، ورحل متجهًا إلى أورشليم وأنطاكية (في سوريا) عن طريق أفسس (الآية١٩)، حيث مكث مدة قصيرة، ووعد أن يعود إليهم «إن شاء الله» (الآية٢١). وقد شاء الله بهذا كما سنرى في الأصحاح التالي. وتبين الآية ١٨ أن بولس كان ما يزال يمارس العادات اليهودية، كما في موضوع النذر.

«وبعدما صرف زمانًا» في أنطاكية، وهو تعبير يدل على أنها لم تكن فترة طويلة، بدأ رحلته التبشيرية الثالثة، أولاً إلى مواقع خدمته السابقة «يشدد جميع التلاميذ» (الآية٢٣). وهذا عمل مطلوب بشدة، حيث إن هناك تأثيرات كثيرة تستهدف التلاميذ لتُضعفهم. ونلتقط خيط قصة بولس في الآية الأولى

من الأصحاح التالي، أما الآيات من ٢٤-٢٨ فهي جزء اعتراضي يتكلم عن الاستنارة الكاملة لأبلوس وخدمته الناجحة.

ومن هذا الجزء نكتشف أنه مع أن بولس انتقل سريعًا من أفسس، فقد بقى أكيلا وبريسكلا هناك، وعن طريقهما زوَّد الرب أبلوس بما كان يحتاجه بالضبط.

وقد تميَّز "أبلوس" بموهبة الفصاحة، كموهبة فطرية فيه، فكان مقتَدِرًا في الكلام. وعن طريق الدراسة المدقِّقة صار «مقتدرًا في الكتب» (الآية٢٤). ولكن عندما جاء إلى أفسس لم يكن لديه علم عن ما أتمَّه الله بالمسيح، ولم تكن معلوماته تتجاوز معمودية يوحنا فقط (الآية٢٥). «وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلِّم بتدقيق ... وابتدأ يُجاهر في المجمع» (الآية٢٥، ٢٦). وعند سماع أكيلا وبريسكلا لتعليمه، اكتشفا ما ينقصه، فاستضافاه (وهي خدمة رائعة كرَّسا أنفسهما لها)، وعلَّماه بتدقيق عن كل ما يخصّ المسيح وعمله. وهكذا، استخدم الله هذين القديسين، اللذين لم تكن لهما موهبة الكلام للجماهير، في إعداد هذا الإناء الموهوب للخدمة. ومن أفسس انتقل "أبلوس" إلى كورنثوس. ولم يكن «يُفحم اليهود جهرًا» فقط (الآية٢٨)، بل أيضًا خدم المؤمنين بقوة. تُرى، ما هو النصيب الذي سيحظى به «أكيلا وبريسكلا» من مكافأة خدمة "أبلوس" الفعالة؟! لا أحد يعرف!

الأصحاح التاسع عشر

عندما نبدأ هذا الأصحاح، نجد بولس قد وصل إلى أفسس بعد أن غادرها أبلوس، وهناك وجد جماعة من التلاميذ، كانوا في حالة تُماثل حالة أبلوس (في سابق عهده) – من ناحية الجهل بالرسالة الكاملة للإنجيل. كانوا "تلاميذ" حقيقيين، وكانوا قد آمنوا بالحقائق الخاصة بالمسيح – بقدر ما سمعوا – (وواضح أنها كانت ناقصة). فالروح القدس يعطى لمَن يؤمنون «بكلمة الحق» و"إنجيل الخلاص" (أفسس ١: ١٣). وهؤلاء لم يؤمنوا بها، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بها، وبالتالي، لم يأخذوا الروح القدس. ومثلهم مثل "أبلوس"، كانوا قد سمعوا بالبدايات الأولى للأشياء، وهي المرتبطة بيوحنا المعمدان، وقد اعتمدوا بمعموديته. وعندما أوصل لهم "بولس" التعليم الكامل، اعتمدوا لاسم الرب يسوع، «ولما وضع بولس يديه عليهم، حلّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون» (الآية٦). وبذلك قُدِّم دليل ملموس على أنهم قد دخلوا الآن في الوضع المسيحي الكامل.

ولم يوجِّه بولس أي لوم لأولئك الرجال الإثنى عشر. فالانتقال إلى النور الكامل للإنجيل كان تدريجيًا في تلك الأيام بسبب بُطء التواصل. أما في بداية الأصحاح السادس في الرسالة إلى العبرانيين فنجد أقوالاً تتضمن توبيخًا. فقد وُجِد بين المؤمنين من أصل يهودي مَن يستحق اللوم لأنهم لم يتركوا «الكلام» (التعليم) عن «بداءة المسيح»، ولم يتقدموا إلى «الكمال» في ملء رسالة الإنجيل. فخدمة يوحنا المعمدان كانت تتضمن الكثير عن «**التوبة عن الأعمال الميتة ... والمعموديات ووضع الأيادي ... والدينونة الأبدية**» (عبرانيين ٦: ١، ٢)، ولكن في الوقت الذي كُتبت فيه رسالة أفسس، كان الحق الكامل عن المسيح قد أُذيع في كل مكان، وكان من المفروض أن يكونوا قد قبلوه، حتى لو كان يصطدم بكثير من أفكارهم اليهودية. أما نحن، فلا عذر لنا، إذا لم نتقدم إلى الكمال.

وبعد أن نال أولئك الرجال بركة حقيقية بزيارة الرسول، وجَّه بولس اهتمامه إلى مجمع اليهود، حيث كان قد قدَّم شهادة موجزة في زيارته السابقة؛ ولمدة ثلاثة شهور كان يناقش اليهود ويقنعهم برسالة الإنجيل. وفي نهاية تلك المدة، أدرك أن عمله قد انتهى هناك. فالبقية حسب اختيار النعمة كانوا ظاهرين، أما الآخرون فتقسوا ولم يقتنعوا وكانوا يشتمون الطريق أمام الجمهور (الآية٩)، ولذلك جعل الانشقاق كاملاً بالاعتزال عنهم، فترك المجمع وأفرز التلاميذ وأخذهم معه، وواصل خدمته «في مدرسة إنسان اسمه تيرانس»، مثلما فعل قبل ذلك في كورنثوس عندما ترك المجمع وانتقل إلى بيت "يُوستس". وبذلك، صار واضحًا تمامًا، أن ما يعمل الله على تأسيسه، ليس مجموعة جديدة من المؤمنين المُستنيرين بين اليهود، بل شيئًا جديد تمامًا، يضم اليهود والأمم معًا.

وقد كانت الخدمة هناك متميزة وقوية، حتى إن بولس أمضى سنتين في العمل في تلك المدينة؛ «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في أسيا من يهود ويونانيين» (الآية١٠). وقد أيَّد الله بولس بمعجزات غير معتادة ذات طبيعة خاصة، ووصلت البشارة إلى المقاطعة كلها. وكما يحدث دائمًا فإن سلطان عمل الله يكشف القناع عن عمل الشيطان، ويحرّك مقاومته. وبقية هذا الأصحاح تبين كيف حدثت هذه المقاومة في أفسس.

وكانت أول حركة مقاومة هي عن طريق التقليد. فقد ظن سبعة بنين لرجل يهودي اسمه "سكاوا"، أنهم هم أيضًا يستطيعون إخراج الأرواح الشريرة باستخدام اسم الرب يسوع. وهم لم يكونوا يعرفونه، ولا كان هو ربهم، ولذلك فكل ما تجاسروا أن يقولوه عنه هو «يسوع الذي يكرز به بولس»، وحذفوا كلمة «الرب». وفي الحال أظهر الروح الشرير أنه لا يعرفهم، ولم يُخدَع باستخدامهم المُنتحل (الذي ليس لهم حق في استخدامه) لاسم يسوع. فهجم الرجل الذي به الروح الشرير عليهم وجرحهم ومزّق ثيابهم، فهربوا من أمامه، وذاع خبر ما أصابهم بين جميع الساكنين في أفسس، يهودًا ويونانيين، «فوقع خوف على جميعهم». أما اسم الرب يسوع فكان يتعظم (الآية١٧).

هذا حقق انتصارًا عظيمًا وعلَنيًا على إبليس وعلى فنون الشعوذة، التي يسعى بعض الناس للاتصال به عن طريقها. وكثير من الذين آمنوا دفعهم الروح القدس أن يعترفوا كيف غُرِّر بهم في الماضي، والأفعال الأثيمة التي ارتكبوها. وآخرون دفعهم الروح القدس أن ينبذوا ذلك الشر الرهيب، وأن يحرقوا كتب السحر علَنًا، بالرغم من غلو ثمنها ونَمت كلمة الله وانتشرت، واندحر هذا الشر الشيطاني وانكمش. والتطبيق المُحزن لهذه الأحداث علينا

اليوم، هو أن الاهتمام بكلمة الله تراجع عما كان عليه في الماضي، بينما تزداد ممارسات الاتصال بالأرواح الشريرة.

وفي هذه الممارسات يتعامل إبليس مع الناس بكل وسائل غواية الحية. وعندما هُزم، في هذا الموقف، عاد للعمل في صورة الأسد المزمجر. وقد استغل هذه المرة جشع الإنسان. فنجاح رسالة الإنجيل قد أضر بتجارة صاغة الفضة، ولم يكن من الصعب أن يحاولوا إحياء مهنتهم تحت قناع الغيرة على مجد إلهتهم "أرطاميس" ("ديانا" عند الإغريق). فهل يسمحون لعظمتها أن تزول، ولمجدها أن يُهان؟ هذا كان تمويهًا ذكيًا لاهتمامهم الحقيقي وهو كسب المال.

وكان الهتاف «عظيمة هي أرطاميس الأفسسيين» هي الشرارة التي أضرمت المدينة كلها، وقد نجح الشيطان في صناعة هذه المادة سريعة الاشتعال. ونتج عن هذا أحداث الشَغَب المُزعجة، التي أشار إليها الرسول في الرسالة الثانية إلى كورنثوس ١: ٨ «ضيقتنا التي أصابتنا في أسيا، أننا تثقلنا جدًا (تعرضنا لضغوط وتهديدات) فوق الطاقة، حتى أيسنا (يأسنا) من الحياة أيضًا». وكان الأفسسيون في حالة هياجهم – على استعداد أن ينفذوا حكم الموت في بولس، وهذا ما يستطرد فيقول عنه «كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يُقيم الأموات». وقد نجاهم الله «من موت مثل هذا»، ولكن من الواضح أن الخطر كان داهمًا، لدرجة أن بولس يُشبّه إنقاذهم منه بالقيامة من الأموات.

ومن وصف هذه الحادثة في سفر الأعمال، نستطيع أن نرى كيف يستخدم الله شخصًا أو آخر في عملية الإنقاذ؛ وبالتحديد هنا بعض وجوه (أعيان) أسيا، وإسكندر الذي حوّل انتباه الناس عن بولس، وكاتب المدينة (مسؤول الأمن)

بكلماته الدبلوماسية المُهدئة. وكان أغلبية المشاركين في هذه التظاهرة الهائجة «لا يدرون لأي شيء كانوا قد اجتمعوا» (الآية٣٢)، فذكّرهم الكاتب أن السلطات الرومانية قد تقلب الموائد على رؤوسهم (تحوّلهم من أصحاب مطالب إلى متهمين)، وتتهمهم بتدبير فتنة. وجدير بالملاحظة، أنه حَرِص على أن يقول إن بولس ورفقاءه ليسوا «سارقي هياكل، ولا مجدفين على آلهتكم»، وهذا يبين أن الرسل حرصوا على تجنب كل ما يمكن أن يُثير المشاعر. فقد ركزوا على الجانب الإيجابي للكرازة بالإنجيل، وليس على الجانب السلبي وهو فضح حماقات عبادة الأوثان.

هذا الشَغَب العظيم أنهى خدمة بولس في أفسس (المدينة ذات المكانة في أسيا الصغرى – تركيا حاليًا)، فانتقل إلى مكدونية (مقاطعة في اليونان)، كما تسجل الآية الأولى من الأصحاح٢٠. ومن المهم في هذه النقطة أن نرجع مرة ثانية إلى رسالة كورنثوس الثانية، ونقرأ ٢كورنثوس ٧: ٥-٧. ومن هذه الآيات نعرف أن بولس أقام مدة قصيرة في "ترواس" في رحلته إلى مكدونية، ولكن لتلهفه أن يقابل تيطس ويسمع منه الأخبار عن القديسين في كورنثوس، رحل إلى مكدونية، بالرغم من الباب المفتوح للخدمة (في ترواس). وعند وصوله إلى مكدونية، كان لا يزال في حالة اضطراب وعدم استقرار، ولكن تيطس جاءه، وارتاحت روحه. وهكذا، من الواضح أن المتاعب في أفسس أعقبتها ضيقات أكثر في ترواس ومكدونية. ولكن كل هذا الجانب من الأمور يمر عليه سفر الأعمال في صمت، لأنه ليس في دائرة اهتمامه. فلوقا كان يبتعد عن تسجيل المزيد من التفاصيل الدقيقة عن اختبارات الرسل، التي لا نعرف عنها إلا من قلمه.

الأصحاح العشرون

في سفر الأعمال نُعرَّف ببساطة أن بولس شجَّع القديسين في مكدونية، وأنه زار اليونان، وأنه لكي يتجنب مكايد اليهود، عاد مارًا بمكدونية في طريق عودته إلى أسيا (الصغرى - تركيا حاليًا). ويُذكر في الآية ٤ أسماء رفقائه في السفر في رحلة العودة، مع أنهم سبقوه عن طريق البحر، وانتظروه في ترواس (في أسيا الصغرى). وفي الآية ٥ يعود لوقا لاستخدام ضمير المتكلم الجمع (نحن)، وهذا يدل على أنه في تلك النقطة عاد فانضم إلى الفريق. وقام بولس ولوقا وآخرون برحلة في البحر استمرت خمسة أيام، أتت بهم مرة ثانية إلى ترواس، حيث ليس قبل هذا بكثير فتح له الرب بابًا للخدمة. في أصحاحنا هذا تبين أنه كان لا يزال هناك اهتمام عظيم بأمور الله في ذلك المكان.

وقضى بولس أسبوعًا واحدًا في ترواس، ولكن خلال ذلك الوقت حدث ذلك الاجتماع الذي لا يُنسى، الذي تسجله الآيات من ٧-١٢، وهي تُعطينا صورة تُفرّح القلب من البساطة والغيرة التي اتصفت بها تلك الأيام. وكانت قد

صارت عادة التلاميذ هناك أن يجتمعوا لكسر الخبز - عشاء الرب - في اليوم الأول من الأسبوع. ليس يوم السبت، بل في اليوم التالي (الأحد)، اليوم الذي قام فيه الرب من بين الأموات، وقد أُختير لهذا السبب، مع أنه لم يكن يوم راحة (عطلة)، كما كان اليوم السابق له بالنسبة لليهود. ولذلك، كان المؤمنون يجتمعون في المساء، عندما ينتهي العمل اليومي. وكانوا يجتمعون في عُلّية، فمباني الكنائس لم تكن قد عُرفت بعد. وكانت الأيام المُتاحة لبولس قليلة، فانتهز الفرصة ليتحدث إليهم، وكان الاهتمام يملأهم حتى إنهم بقوا طوال الليل يستمعون إلى كلامه.

ومن السهل أن نتصوّر المشهد. العلّية مزدحمة، والشاب جالس في الطاقة (النافذة)، والمصابيح الكثيرة تزيد من تأثير النعاس للهواء الحار الخارج من النافذة، والحَدَث المفاجئ الذي وقع وهو نَوم أفتيخوس وسقوطه. إلا أن قدرة الله ظهرت من خلال بولس، حتى إنه بدلاً من أن يقطع هذا الحادث الاجتماع، ويتشتت الانتباه عن رسالة بولس، ارتاحت قلوبهم وثُبّتت، فاستقروا وسمعوا حتى طلوع الفجر. وكان الرسول الآن على وشك أن يبدأ رحلته الأخيرة إلى أورشليم، وصواب هذا التصرف أو خطوه موضع نقاش، ولكن ليس هناك من شك أن روح الله كان يعمل فيه كما في السابق. وليس هناك من معجزة أعظم من هذه تمّت بواسطة بولس. والقصة تخلو من أي جانب طقسي أو رسمي، ولكنها تنبض بالقوة. أما في احتفالاتنا المسيحية اليوم، فالجانب الطقسي هو المسيطر، أما القوة فليس لها مكان. ويا للحسرة، أن هذا هو الوضع الواجب!

وإذ طلع النهار، رحل بولس من "ترواس" سيرًا على الأقدام، بينما سافر لوقا وباقي مرافقيه عن طريق البحر، والتقوا به في "أسوس". وعند وصولهم

إلى "ميليتس"، أرسل من هناك واستدعى شيوخ (قسوس) كنيسة أفسس لكي يُحمّلهم بمسؤولياتهم، مقتنعًا أنه لن يراهم مرة ثانية. ويمكن تقسيم خطابه المؤثر هذا بشكل طبيعي إلى ثلاثة أجزاء:

في الجزء الأول من خطابه يستعرض خدمته بينهم، وهذا يشغل الآيات من ١٨ – ٢٧. ويبدأ كلماته بالقول: «**أنتم تعلمون من أول يوم ... كيف كنت معكم كل الزمان**» (الآية١٨). ثم بعد أن يتكلم عن أسلوبه في العمل (الخدمة)، ينتقل ليتكلم عن **موضوعها** المُميز. وفي كل من أسلوب خدمته وموضوعها، يمكن أن نتخذه مثالاً لنا.

فأولاً، كان عمله هو الخدمة. لم يكن يتصرف كصاحب منصب كنسي عظيم، يفرض أوامره على الرعية، بل كخادم يخدم القديسين، ولكن أساسًا يخدم الرب بخدمتهم. هذا كان نهجه من أول يوم إلى آخر يوم في خدمته لهم. بل أيضًا كانت خدمته **باتضاع الفكر** (بتواضع)، كما هو ثابت في الأصحاحات السابقة. لم يكن من نوع الرجال الذين يتوقعون أن يخضع لهم الجميع أو يخدمونهم. بل كان مُعينًا للجميع، وكان يعمل بيديه (في صناعة الخيام) لكي لا يُثقل على أحد، بل أيضًا ليساعد الآخرين.

كما أن خدمته كانت **بدموع كثيرة وتجارب** مصدرها اليهود. والدموع تشير إلى مشاعره الرقيقة وحنو قلبه، بينما تُشير التجارب إلى تعرضه لضيقات ومقاومة مستمرة من تدبير اليهود.

كما أنه تميز أيضًا **بالأمانة** في إعلان الحق، وتطبيقاته على القديسين. لم يسعَ لكسب الشعبية الرخيصة، بحجب ما لا يستسيغونه، بل كان يهدف دائمًا إلى فائدتهم. أكثر من هذا، أنه لم يَقصر خدمته على الخدمة الجماهيرية، والتي

كثيرًا ما تتضمن قدرًا من الشهرة والدعاية، بل شَغَل نفسه بتوصيل الرسالة من بيت إلى بيت، وهي خدمة لا تجلب الشهرة، ولكنها عظيمة التأثير. كل هذا يشرح "كيف كان معهم".

ولكن هناك أيضًا ما يتحدث عنه في الآية ٢٤، وهو تكريسه نفسه الكامل للخدمة التي أؤتمن عليها، ولذاك الذي أخذها منه. فقد أعطى حياته لهذا الهدف، ولذلك لن يؤثِّر عليه أي توقع للمتاعب أو حتى الموت نفسه. وعندما يُضيف خادم الرب إخلاصه إلى تكريسه، فإنه لا يهتز إذا توقع الموت، ولا بد أن تكون هناك قوة في خدمته.

ثم بالنسبة للموضوع الذي تميَّزت به خدمته، فيذكر ثلاثة عناصر. أولاً، الإنجيل الذي أؤتمن عليه، والذي استلزم الشهادة في كل مكان وللجميع «بالتوبة إلى الله، والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح» (الآية٢١). والإنجيل يعلن «نعمة الله» التي أُعلنت في المسيح، في موته من أجل خطايانا، وقيامته من أجل تبريرنا؛ وهذا يؤدي – من جانبنا – إلى التوبة والإيمان. وهذه كانت بشكل ثابت موضوع كرازته.

كما أنه كرز أيضًا «بملكوت الله»، ولكن هذا لم يكن بين الجميع بل بينهم – أي أنه كرز بالملكوت بين التلاميذ في كل مكان. وواضح أن هذا ينطبق علينا اليوم . فبلا شك، أنه تكلم عن الملكوت الذي سيُقام علَنًا، عندما تكلم عما سيأتي، ولكنه أيضًا وضع أمامهم أنهم دخلوا فعلاً تحت سلطان الله، بقبولهم المسيح ربًّا، وأراهم ماذا يُعني عمليًا الخضوع لإرادة الله المقدسة.

ومن المُلاحظ، على سبيل المثال، أنه في رسائله لا يَقتَنع بولس بتقديم الحق في صورة مجرَّدة، بل يحرص دائمًا على ترسيخ السلوك الذي يشير إليه الحق

باعتباره إرادة الله من جهتهم.

ثم، ثالثًا، أنه عرَّفهم «بكل مشورة الله» (الآية٢٧). فهو قد أنار لهم كل تدبيرات الله للمسيح والكنيسة وللعالم الآتي. هذا عرَّفهم بما كان سرًّا مكنونًا حتى ذلك الوقت، وأراهم أن الله ذخر لهم أمورًا أسمى عن قصده الذي سبق إعلانه بالنسبة لإسرائيل. هذا العنصر الأخير في خدمته، هو الذي أثار مقاومة شرسة من جانب الكثير من السامعين اليهود، والذي أدى في النهاية إلى سجنه. ولذلك يقول: «لم أؤخِّر (لم أمتنع عن) أن أُخبركم». ولو أنه حجب هذا الجزء في خدمته، لَنَعِم بالسلام زمنًا أطول في خدمته، ولتجنب الكثير من المتاعب، لأن مشورة الله تتضمن إدخال الأمم في الكنيسة، طبقًا للحق الخاص بها. وكان يعرف هذا، ولكنه لم يتراجع.

والخدمة الكاملة الشاملة لكلمة الله اليوم، لا بد أن تحوي هذه العناصر الثلاثة: إنجيل الله، وملكوت الله، وقصد (مشورة) الله.

وفي الآيات من ٢٨-٣١، نجد الجزء الثاني من خطابه، الذي يحرِّضهم ويحذرهم فيه. لقد جعلهم الروح القدس نُظارًا (أساقفة) بين القطيع الذي هو كنيسة الله، هذا القطيع ليس مِلْكهم، بل هو قطيع الله بحق الشراء، وواجبهم هو أن يعتنوا به، ويرعوه. ولكن كان عليهم أن يحترزوا (ينتبهوا) لأنفسهم هم أولاً، لأنه إذا لم ينتبه الإنسان لنفسه أولاً، كيف يستطيع أن يعتني بالقطيع؟ وأيضًا، عليهم أن يصحوا ويحترسوا من المضلِّين، متذكِّرين كيف حذَّرهم بولس نفسه بكل اهتمامه القلبي ثلاث سنوات. أليست حقيقة أن خدمة التحذير هذه قد سقطت تقريبًا بسبب عدم استخدامها؟

وهنا، يحذِّر بولس الشيوخ (الأساقفة) من مصدرين أساسيين للضلال: أولاً،

الذئاب الخاطفة التي تتسلل من الخارج، وثانيًا: قيام رجال مُضلّلين من الـداخل. وهو يقصد بالذئاب، بلا شك، عملاء الشيطان، وهم من نـوع الرجـال الـذين يقولِ عنهم بطرس إنهم يدسون بدع هلاك. ويشهد تاريخ الكنيسة عـن تحقـق هذه النبوة، كما يشهد أيضًا عن الضلال الذي زرعه رجال قـاموا مـن وسـط الشيوخ أنفسهم «يتكلمـون بامور ملتوية» (الآيـة٣٠). هـؤلاء الرجـال، مـن المُحتمل جدًا أنهم مؤمنون حقيقيون، ولكنهم يلوون عنق التعليم، فيلتوي الحـق. هذا ليجعلوا من أنفسهم قادة لأحزاب (شيَع)، ومراكز لجـذب مَـن ينخـدعون بتعاليمهم. وهم يجتذبون الناس لأنفسهم، بدلاً من أن يقـودوهم إلـى المـسيح. وبهذه الكلمات رسم بولس صورة مستقبلية لِما نسميه العالم المسيحي.

لهذا السبب، ربما، لا نجد في كلمة الله أية توجيهات لإقامـة شـيوخ بـشكل رسمي، فيما عدا في زمن حياة الرسل. وإذا كان من هؤلاء الشيوخ سيقوم مَـن ينشر الضلال، فإنه من الجيد أن نعترف ونقبل مَـن يُقـيمهم الله، دون تعيـين رسمي. لأنه في حالة التكلم بأمور ملتوية، فإن تعييـنهم (مركـزهم) الرسـمي سيُستخدم لإعطاء قانونية لِما هو خطأ.

وفي الجزء الثالث من خطابه، أشار بولس إلى السَنَد الذي سيبقى، بالرغم مـن كل ما يمكن أن يحدث. وقد لخّصه في كلمات موجَزة في آية واحـدة (الآيـة٣٢)، ولكن موضوعه في منتهى الأهمية. إن سَنَدنا العظيم هـو فـي الله ولـيس فـي إنسان. إنه لم يستودعهم لأي من الرسل الآخرين، وبالتأكيد لم يكن ليـستطيع أن يستودعهم للشيوخ، لأنه كان يخاطب الشيوخ (القسوس) - الـذين مـن وسـطهم سيقوم المُضلون. **فالله، والله وحده هو السَنَد والملجأ لشعبه.** ولكنه أعطى كلمتـه التي تكشف (تعبِّر) عن شخصه في القديم، تكلم على فم موسى، كما هـو مـسجّل

في العهد القديم: تلك كانت كلمة "مطاليبه" من الإنسان. والآن كلَّمنا في المسيح، كما هو مسجل في العهد الجديد، وهذه هي «كلمة نعمته». وقد استُودعنا لهذه الكلمة، لأنها قادرة أن تبنينا في الإيمان، وتعطينا القوة الروحية والتمتع بالميراث الذي لنا مع جميع القديسين. هذا الميراث لنا بالإيمان بالمسيح (انظر أعمال ٢٦: ١٨)، ولكننا نبشِّر به في قوته الحالية، بكلمة نعمته.

وأهمية الآية ٣٢ لنا اليوم، ليس فيها مُبالغة. فالله وكلمته باقيان لنا، مهما حدث. فليس هناك قوة للشرّ تستطيع أن تلمس الله. فهو قائم، ونستطيع أن نبقى على اتصال به في الصلاة، والشركة، والتسبيح، والسجود. وكلمته باقية، فهو ساهر عليها، يرعاها، وقد حفظها لنا. ولكنها بالطبع، هي الهدف الدائم لهجوم العدو. فبعد زمن قصير، خنقتها تقاليد الآباء، ثم دُفنت في لغة بائدة وحُجبت عن الناس (وذلك خلال العصور الوسطى المظلمة)، والآن بعد أن صارت مُتاحة للجميع، وُجِّه إليها أقسى أنواع النقد، وتُبذل المحاولات لتجريدها من سلطانها. ومقتفين خطوات يهوذا، يُحيّيها الرجال العظماء بقُبلة، ويشيدون بلغتها الجميلة! فقط لكي يخونوها ويسلمونها لمَن يجرِّدها من كل سلطان إلهي. ورغمًا عن كل هذا، تبقى السَنَد والمرجع لكل قلب مؤمن مطيع.

ويختم بولس خطابه بالإشارة إلى الاستقامة والإخلاص اللذين اتصف بهما. فبدلاً من أن يطلب، كان يعطي للجميع. ويستشهد هنا بكلمات للرب يسوع، لم تُسجل في الأناجيل، وقد تمثل هو بهذا القول. كان قد ذكر سابقًا أنه أخبرهم وعلَّمهم (الآية ٢٠)، وهنا يكرِّر أنه أراهم كل شيء. وقد مارس أمامهم ما علَّم به. و العبرة بالتطبيق العملي.

* * *

وبولس مثال لنا كقديس وكخادم، ولذلك يسجّل لنا بالوحي هذا العرض لخدمته، وعندما نقيس أنفسنا عليها نشعر بالاتضاع الشديد. وبعد أن أنهى كلماته، «جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى» (الآية٣٦) وسط «بكاء عظيم من الجميع» (الآية٣٧). ولا بد أن المشهد كان مؤثّرًا جدًا. وعبارة «وقعوا على عنق بولس يقبّلونه» تعبّر عن المشاعر الحارة الفياضة، وهي نفس الكلمة التي استُخدمت في وصف استقبال الأب المتلهف لابنه الضال العائد إلى حضنه (لوقا ١٥). ولكن ربما نلمس لمحة ضعف في توجّعهم وحزنهم الشديد لانعدام الأمل أن يروه مرة ثانية. ألم يكن الأجدر بهم أن يحزنوا أكثر لأن كنيسة الله السامية، ستفترسها الذئاب، وسيزرع رجال منهم الضلال فيها ليفسدوها؟!

الأصحاح الحادي والعشرون

عندما نفتتح هذا الأصحاح، نرى أن لوقا كان لا يزال مع بولس ورفقائه، ونتتبع رحلتهم صعودًا إلى أورشليم. وعند وصولهم إلى صور، من الواضح أنهم بحثوا عن تلاميذ، لعلهم يجدوا، وقد وجدوا البعض. وعن طريق هؤلاء الرجال الذين لم تُذكر أسماؤهم، أعطى الروح القدس رسالة لبولس مضمونها ألا يذهب إلى أورشليم. وكان قبل هذا قد قال للأفسسيين إنه مُقيد بروحه (وليس بالروح القدس) أن يذهب. وواضح أن اقتناعه الداخلي كان قويًا، حتى إنه لم يقبل الكلمة عن طريق رجال "صور" المتواضعين. وتبدو أنها حالة سَمَح فيها لاقتناعه القوي أن يطغي على صوت الروح القدس الذي وصله من خارج. فلنترك الأمر عند هذا الحد، ولنلاحظ فقط أنه إذا كان الأمر هكذا، فإنه يُتاح لنا أن نرى في الحوادث التالية كيف حوّل الله الخطأ إلى خير في النهاية، مع أن هذا كلف بولس متاعب كثيرة.

وقبل مغادرة "صور"، يَرِد ذكر أحد اجتماعات الصلاة الجميلة الهامة «فجثونا على ركبنا (بولس ورفقاؤه وتلاميذ صور مع نسائهم وأولادهم) على الشاطئ

وصلينا» (الآية٥). وعند وصولهم إلى "قيصرية" نرى لمحة من الضيافة المسيحية في تلك الأيام. فقد استضافهم "فيلبس المبشر"، الذي سبق ذكره في أعمال ٨. وبناته يقدّمن لنا مثالاً للنساء اللاتي لديهن مواهب تنبؤ، وكن يمارسنها - بلا شك - طبقًا لتعليم كلمة الله عن خدمة النساء.

وفي تلك المدينة، قُدّمت شهادة أخرى بواسطة النبي "أغابوس" عن ما ينتظر بولس في أورشليم. ومرة أخرى نرى عرضًا مؤثّرًا للمحبة لبولس، من جانب رفقائه، والقديسين في قيصرية، ونرى أيضًا بولس يُظهر استعداده أن يضع حياته لأجل اسم الرب يسوع (الآية١٢، ١٣).

وفي النهاية، نرى إشارة إلى المسلك الحكيم، عندما يوجد خلاف في الرأي لم يتيسر إزالته «ولما لم يُقنَع، سكتنا قائلين لتكن مشيئة الله» (الآية١٤). فعلينا كلنا أن نتمسك بسلامنا، وأن نطلب فقط أن تتم مشيئة الله في الموضوع مهما كانت.

وعند وصوله إلى أورشليم، عرَّف بولس يعقوب والمشايخ «بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته» (الآية١٩). فمجَّدوا الله على هذا، مُظهرين استعدادهم لقبولهم في المسيح، مُلتزمين بقرار المجمع الذي قرأنا عنه في أعمال ١٥، أن لا يوضع الأمم تحت نير الناموس. ولكن هل كان على المؤمنين من أصل يهودي أن يحفظوا عاداتهم القديمة، هذه قضية أخرى. وقد ألحّ الأخوة في أورشليم على بولس أن ينتهز فرصة الانضمام إلى أربعة رجال عليهم نذر، ليُبعد عن نفسه ما يُنسب إليه أنه يُعلم اليهود أن يتركوا عاداتهم. وكانوا يرون أنه من المهم أن يقضي على تلك الشائعات بهذه الطريقة.

دافع آخر وراء ذلك الاقتراح، هو أنه كان يوجد «رَبْوَة (عدة آلاف) من اليهود الذين آمنوا، وهم جميعًا غيورون للناموس» (الآية٢٠). كنا نتمنى لو

كانوا غيورين للإنجيل ورجائه السماوي، ولكن من الواضح أنهم لم يتمكنوا حتى ذلك الوقت من فهم طبيعة الإيمان الذي دخلوا فيه. وقد كُتِبت "الرسالة إلى العبرانيين" إلى مثل هؤلاء المؤمنين من أصل يهودي. فقد كانوا، كما تصفهم الرسالة «**مُتباطئي المسامع**».. يحتاجون أن يعلمهم أحد ما هي بداءة أقوال الله، «**محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي**». ونتيجة لهذا يحرضهم الرسول «**لنتقدم إلى الكمال**» (عبرانيين ٥: ١١ - ٦: ٢).

ولم يكن التصرف الذي أُوصي به بولس، والذي أخذ به، ليستطيع فرضًا أن يتقدّم بهم إلى الكمال. بل كان تصرّفًا وقائيًا ويحمل الكثير من المجاملة بقصد تجنب المتاعب، وكما يحدث كثيرًا في مثل هذه الحالات، فشل في تحقيق هدفه تمامًا. فقد أُدخل بولس إلى الهيكل، حيث الاحتمال الأكبر أن يوجد به مقاوموه. وقد زج بنفسه في المشكلات بدلاً من أن يتجنبها. وقد أثار الشَغَب ضده يهود من أسيا، وبلا شك أنهم من الرجال الذين اشتركوا في الشَغَب في أفسس. وقد تصرفوا بناء على الاتهام أن بولس نجَّس الهيكل بإدخال أممي من أفسس إلى الهيكل. ومن الواضح أن الاتهام كان كاذبًا. فهو لم يفعل هذا، إنما دخل هو نفسه مفترضًا أنه بذلك يدحض تعصبهم، وهذا الافتراض ثبت خطؤه أيضًا.

إلا أن يد الله كانت مسيطرة على كل الأحداث. وتحققت نبوءة "أغابوس"، وفقد بولس حريته. ولكن تصرف القائد الروماني السريع والحكيم، أنقذه من عنف الشعب. وانتهت أيام الحرية في الكرازة - ما عدا ربما فترة قصيرة قبل النهاية. والآن بدأت فترة الشهادة القوية أمام جمهور أورشليم، وبعدها الشهادة أمام ولاة وملوك، وحتى أمام الإمبراطور نيرون نفسه. فالله يعرف كيف يجعل غضب الإنسان يمجّده، وأن يحجز بقية الغضب. وهو يعرف

أيضًا كيف يحوّل أيّة أخطاء قد يرتكبها خدامه، وأن يفتح أبوابًا جديدة للخدمة، إذا أُغلقت أمامهم بعض الأبواب، وقد تكون الجديدة أهم من الأولى. فسجن بولس هو الذي أدى لكتابته تلك الرسائل الموحى بها*، التي شدَّدت الكنيسة لمدة تقرب من واحد وعشرين قرنًا.

* ارجع إلى أول كتاب في هذه السلسلة "دراسة في رسائل السجن" لنفس المؤلف. وهي عمومًا افسس وكولوسي وفيلبي وفليمون، ثم بعد ذلك أيضًا رسالة تيموثاوس الثانية. (المترجم)

الأصحاح الثاني والعشرون

في كل ما حدث لبولس في أورشليم، ليس من الصعب أن نميِّز يد الله تـتحكم في المشهد من وراء الستار. ومع أن المدينة كانت في اضطراب عظيم، لم تمتـد أي يد بالأذى لبولس، إلى أن تدخل الأمير وصار بولس في حمايته.

وحقيقة أن بولس خاطب الأمير باللغة اليونانية، خلق موقفًا متعاطفًا من قِبَـل الأمير، أدى إلى السماح له بمخاطبة الجماهير الهائجة من علـى درج القلعـة. ثم أن اختيار بولس أن يكلم الجماهير بالعبرية، أدى إلى إصـغائهم واهتمـامهم الشديد بما يقوله (الآيات ٣٧-٤٠ من نهاية الأصحاح السابق).

وجدير بالملاحظة أن سفر الأعمال يورد مرتين التفاصـيل الكاملـة لتغييـر كرنيليوس (بالإضافة إلى إشارة مختصرة في مرة ثالثة). ففي أعمال١٠ يـسجِّلها لوقا كمؤرخ للأحداث، ثم يسجِّل في أعمـال١١ كيـف رواهـا بطـرس. وفـي أعمال١٥ نجد وصفًا ثالثًا مختصرًا في إشارة بطرس إليها في مجمـع أورشـليم. وبالمثل، يَرِد تغيير بولس ثلاث مرات: ففي أعمال ٩، يسجِّلها لوقا كمؤرِّخ، وفـي

أصحاح ٢٢ يسجل كيف رواها بولس نفسه لشعبه، وفي أصحاح ٢٦ كيف رواها بولس أيضًا أمام الحكام الأممين. وكِلا التغييرين كانا بداية فترة جديدة، ولهما أهمية عظيمة. في الأولى نجد دعوة رسمية ومُحدَّدة للأمم إلى نفس بركات الإنجيل مثلهم مثل اليهود، وعلى نفس المستوى؛ وفي الثانية نجد دعوة لزعيم المضطهدين ليكون الأداة الأساسية لحمل رسالة الإنجيل إلى عالم الأمم.

وعندما نقرأ وصف بولس لتغييره في أعمال ٢٢، لا نملك إلا أن نرى الاقتدار الذي تكلم به بولس، والذي وهبه له الله. فبدأ ببيان ما كان عليه في أيامه الأولى، عندما كان أسلوب حياته يتفق تمامًا مع أفكارهم. لقد بلغ حد الكمال بالنسبة لأصله، وتعليمه، وغيرته وكراهيته للمسيحيين. ثم جاء التدخل من السماء بيد الله. فكل تغيير حقيقي هو نتيجة لعمل الله، ولكنه يحدث عادةً عن طريق أداة بشرية، وهذا العمل الإلهي يتحقق فقط عن طريق الإيمان. أما في حالة بولس، فلم تكن هناك أداة بشرية (وهو في هذا يختلف عن تغيير كرنيليوس) إنما كان شيئًا فائقًا للطبيعة تمامًا، تعامل مع العين والأذن – نور عظيم وصوت ذو سلطان – طرحاه على الأرض. وقد روى القصة بطريقة تخلق في سامعيه الانطباع أن تغييره حقيقة، أجراها الله، وهذا أشعل غضبهم.

والصوت الذي أسره كان صوت يسوع، والجملة التي قالها ردًا على سؤال شاول المرتعب «مَن أنت يا سيد؟» هي «أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده». وكلمة «الناصري» لم تَرِد في أعمال ٩، ولا في حديثه أمام الحكام الأمميين في أصحاح ٢٦، ولكن هنا لأنه يتكلم إلى يهود، لها أهمية بالغة. لقد كانوا يصفونه بهذه الكلمة كتحقير وتعيير له، أما الآن فيسوع الناصري في السماء.

من هذا، فلنقبَل التحذير ألا نفصل بين اسم ربنا وبين ألقابه بشكل عشوائي

متسرع، بل من النافع أن نميِّز أهمية كل منها. ربما كنا نتوقع منه أن يقول: "أنا يسوع الذي كان يُلصق به لقب الناصري في أيام تجسدي"، وبذلك ينسب ذلك اللقب إلى فترة تغربه على الأرض. ولكنه لم يقُل "أنا كنت" بل "أنا". فهو لا يتبرأ من لقبه، لأنه واحد لا يتجزأ.

ومع أن بولس يتكلم عن تغييره كعمل خالص لله، فإنه يروي كيف استخدم الله "حنانيا" ليردّ له بصره، ولينقل إليه الدعوة أن يكون شاهدًا، ولكي يعتمد. وأيضًا يؤكد على حقيقة أن «حنانيا (كان) رجلاً تقيًا ... ومشهودًا له من جميع اليهود السكان (في دمشق)» (الآية١٢). ولاحظ أن بولس رأى المخلِّص المُمجَّد، وسمع صوتًا من فمه (الآية١٤). وبناء عليه «ستكون له شاهدًا ... بما رأيت وسمعت» (الآية١٥). ومن هنا يسمي الإنجيل الذي كرز به «إنجيل مجد المسيح».

ولاحظ أيضًا الربط هنا بين المعمودية وبين غسل الخطايا، كما في أعمال ٢: ٣٨، وكما كانت في معمودية يوحنا. وأضاف حنانيا «داعيًا باسم الرب»، وهذا يبيِّن أنه كان يشير إلى المعمودية المسيحية، وليس إلى معمودية يوحنا. وكانت المعمودية لها أهمية خاصة بالنسبة لليهود، وهذا يفسر مكانتها البارزة في يوم الخمسين، كما وفي حالة بولس. فالرافضون للمسيح لا بد أن يحنوا رؤوسهم، ويُدفنوا رمزيًا اعترافًا باسمه. إنها رمز (علامة) لخضوعهم لذاك الذي رفضوه، وبهذا فقط يمكن غسل خطاياهم.

عندئذٍ انتقل بولس ليحكي ما حدث في أول زيارة قصيرة له لأورشليم، وهي المذكورة في أعمال ٩: ٢٦. ولم يَرِد ذكر لهذه الرؤيا سواء في أعمال ٩، أو في غلاطية ١؛ بل نقرأ عنها هنا فقط. وجدير بالملاحظة أن كل من الرسول بطرس والرسول بولس دخل في غيبة (أعمال ١٠: ١٠ بالنسبة لبطرس؛ ٢٢: ١٧ بالنسبة لبولس)،

ورأيَ رؤيا بالنسبة لخدمتهما بين الأمم. بطرس لكي يقتحم العادات اليهودية، ويفتح الملكوت للأمم؛ وبولس لكي يقبل الكرازة للأمم كخدمته طوال حياته. وبهذه الطريقة، تأكد مرتين أن الإتيان بالأمم هي إرادة الله وقصده.

وبسبب ماضيه، شعر بولس أنه أُعِدَّ مسبقًا لتبشير أُمته، وتجرّأ أن يقول هذا للرب، فقط ليتلقى القول إن اليهود لن يقبلوا الشهادة من فمه، وأنه سيرسله إلى الأمم بعيدًا (الآية٢١). كل هذا قاله للشعب. وعندما نقرأ تسجيل ما حدث، نشعر بقوة الإقناع في كلماته. هل شعر أن بعض شعبه على الأقل لا بد أن اقتنعوا؟ إلا أنه ثبتت كلمة الرب «إنهم لا يقبلون شهادتك عني» (الآية١٨)، وهذه ساندتها الرسالة الخاصة من الروح القدس أنه ينبغي ألاّ يذهب إلى أورشليم. وفي تلك اللحظة تحقَّقت كلمات الرب. فقوله إن الأمم صاروا موضوع رحمة الله، دفع السامعين إلى غضب مجنون. فرفضوا سماع أية كلمة أخرى منه، وطالبوا بموته بعنف غير محدود. وعندما اضطلع بولس بإرسالية الله له للأمم، نال بهجة الاستخدام للوصول إلى "البقية المختارة (المعينة) بالنعمة" من بين شعبه، وعندما تحوّل، وركّز اهتمامه على شعبه، لم تأتِ كلماته بأي ثمر في البركة.

وغضب الناس غير المنطقي (غير المُبرّر) مع استخدامه للغة العبرية (التي لا يفهمها الأمير) أربك الأمير، وكان التحقيق تحت الضرب بالسياط هي الطريقة المُتّبعة لاستخلاص الأدلة في تلك الأيام. ولكن ما منع هذا هو إعلان بولس لجنسيته الرومانية. وتحت يد الله، صارت هي الفرصة لشهادة بولس أكثر أمام المسؤولين في تلك الأمة. وعُقِد مجلس السنهدريم في اليوم التالي، بناء على أوامر الأمير.

الأصحاح الثالث والعشرون

عندما نفتتح هذا الأصحاح، نجد بولس واقفًا أمام ذلك المحفل المهيب، وربما كنا نتوقع أن يُلقي بولس أقوى خطاب دفاع مُقنع في حياته. إلا أن ما حدث هو الحد الأدنى من الشهادة والحد الأقصى من الفوضى والاضطراب. فأول عبارة نطق بها بولس: «إني بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم» (الآية١) رُفضت رفضًا مريرًا، مع أننا نستطيع أن نرى أنها كانت صحيحة. فالضمير "الصالح" نكتسبه ونحفظه عندما ننفذ بإخلاص والتزام كل ما يوجهنا إليه الضمير. والشخص المتعصب ذو الضمير غير المُستنير والمنحرف، يرتكب أعنف الأمور لكي يحفظ ضميره "صالحًا". وهكذا كان بولس قبل التغيير، ولكنه منذ تغييره فإنه يُراعي بإخلاص تحذيرات ضميره الذي استنار الآن وتقوَّم. كم يبين هذا لنا بوضوح أن الضمير في حد ذاته ليس مرشدًا مأمونًا، فلا بد أن يستنير بكلمة الله. وقيمته تتوقف تمامًا على مقدار خضوعه وانسياقه لكلمة الله.

ورئيس الكهنة إذ أغضبته هذه الجملة الافتتاحية، أمر أن يُضرَب بولس على

فمه، وبهذا كسر الناموس الذي ينص على عدم ضرب المتهم إلا بعد محاكمة عادلة، وأن يُضرب بقدر ذنبه وبشكل لائق (تثنية ٢٥: ١-٣). هذا الظلم الفادح، دفع بولس إلى أن يردّ ردًا قاسيًا، وهو مناسب جدًا، ولكن غير مسموح أن يُوجّه إلى رئيس الكهنة. فالمجلس قد دُعيَ للاجتماع في عَجَلة وبشكل غير رسمي، وربما لم يكن هناك ما يميز* رئيس الكهنة في ملابسه الفخمة، ولكن عندما ظهر الخطأ في التصرف، اعترف بولس في الحال بخطئه واقتبس الآية التي تمنع ما فعل: «لا تَسب الله. ولا تلعن رئيسًا في شعبك» (خروج ٢٢: ٢٨). وطبعًا لَمْ يكن بولس ليستطيع أن يواجههم بالسؤال: «مَن منكم يبكتني على خطية؟» كما فعل سيده.

بعد هذا مباشرة تصرّف بولس بذكاء (ليُحدث انشقاقًا بين الفريسيين والصدوقيين)، «فصرخ في المجمع ... أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم» (الآية٦). وبلا شك كان بولس فريسيًا بالمولد، وبناء على تعليمه في سن مبكر (عند رجلي غمالائيل). وبلا شك أيضًا أن القيامة من أساسيات الإنجيل. وكان لتصريحه هذا التأثير الذي توقعه (الآية٧). فهَبَّ الفريسيون إلى نجدته، وكشفوا عن عدائهم الشديد للصدوقيين. لقد اتحد الحزبان المتنافران، واتخذا موقفًا موحدًا. ولكن عندما افترض الفريسيون أن بولس من حزبهم، انقلبوا على حليفهم، وتحولوا إلى جانب بولس (الآية٩). فلم يكن للحق والبِرّ أي اعتبار لديهم، بل الاعتبار هو لمصلحتهم كحزب. ونفس الشيء شائع جدًا اليوم، والمؤمنون ليسوا بمأمن منه ولا بمنأى عنه. ولذلك، فلنقبل التحذير الذي ينقله هذا الموقف إلينا.

---

* كانت السلطة الرومانية (بمساعدة الصدوقيين) تغيِّروتبدّل في رئاسة الكهنة، بل أقامت أكثر من رئيس (أع٢٢: ٣٠). ويرجّح أيضًا أن بولس كان ضعيف البصر. وقد يحمل رد بولس استنكارًا لتصرف رئيس الكهنة، أو إنكارًا لوجود رئيس كهنة أساسًا. (المترجم)

وعلى امتداد سفر الأعمال نجد أن حزب الصدوقيين هو المقاوِم الأساسي لرسالة الإنجيل. فنظرتهم المادية، وإنكار القيامة هو السبب في هذا. وهنا نرى اللمحة الأخيرة عنهم، وهم يقاومون بعنف التغير المفاجئ للجبهة التي كوّنوها مع الفريسيين، ويستخدمون أقصى درجات العنف الجسدي، حتى كادوا يمزقوا (يفسخوا) بولس بأيديهم إلى قطع. وقد أضر عنفهم بقصدهم، لأنها أرغمت الأمير أن يتدخل، وللمرة الثانية أنقذ بولس من أيدي شعبه.

كم هي جميلة جدًا الآية ١١! «ثِق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضًا». لا يقول لنا الكتاب شيء عن مشاعر بولس، ولكن رسالة الله المشجّعة له، تشير إلى حالة الاكتئاب التي كان فيها. ولا نملك إلا أن نفكر أن رحلة أورشليم هذه لم تصل إلى حد كبير للمستوى العالي الذي ميَّز كل خدماته السابقة. إلا أنه بالتأكيد شهد للرب. فإلهه المحب قد أكدّ هذا، واعترف بها، وعرّفه أنه ما زال أمامه أن يشهد في روما – لقد كانت أورشليم هي المركز الديني، وروما هي المركز الإمبراطوري الذي يحكم العالم (المتحضر) في ذلك الوقت. وكم كان هذا إنعاشًا لروح بولس!

وفي اليوم التالي انكشفت المؤامرة، التي دبرها أكثر من أربعين رجلاً لقتل بولس. وطبيعة الاتفاق الذي قيَّدوا أنفسهم به يشهد بشراسة كراهيتهم لبولس، ولذلك من المُحتمل أنهم كانوا من حزب الصدوقيين الذين جُنوا لإفلات الفريسة من أيديهم في اليوم السابق. وكان رؤساء الكهنة من ذلك الحزب أيضًا، ولذلك لم يفُتهم أن يشتركوا في هذه المؤامرة. وكان دورهم أن يَدَّعُوا أنهم يريدون أن يفحصوا (يحققوا مع) بولس بأكثر تدقيق (الآية١٥)، والأربعون رجلاً كانوا مستعدين لقتل بولس.

ومرة أخرى، نجد يد الله تُبطِل مخطّطاتهم. والقصة - كعادة الكتاب - تُحكى باختصار وبإيجاز. ونكتشف هنا أن بولس كان له أخت وابن أخت في أورشليم، ولكن لا يُعَرِّفنا السِفر كيف عرف ابن أخته هذا بالمؤامرة. إلا أن الله قصد أن تصل أخبار المؤامرة إلى مسامعه، مع أنها دُبِّرت من ساعات قليلة. وإننا نرى يد الله المهيمنة على كل الأمور، في تلك الشجاعة التي تحلى بها ابن الأخت بولس، ووصوله بسهولة إلى خاله بولس (وهو تحت الحراسة داخل المعسكر)، ثم وصول ابن أخت بولس إلى الأمير بناء على طلب بولس، وأن يجد هذا الترحيب والتجاوب من الأمير. وهناك احتمال أن يكون سلوك اليهود الغوغائي قد ولَّد رد فعل في تفكير الأمير متعاطفًا مع بولس ولصالحه. وكانت النتيجة، أنه ليس فقط استمع إلى الشاب، بل أيضًا صدَّق كلامه بلا تردد، واتخذ خطوات عاجلة لإحباط المؤامرة.

ويعطينا بقية الأصحاح لمحة عن كفاءة تنظيم القوات المسلحة الرومانية، وترتيب الأمير بكل دقة لعملية نقل بولس إلى الحاكم المدني في قيصرية. وأخذ كل الحيطة لأيَّة مفاجآت يمكن أن تحدث. فقد كان يعرف غضب اليهود الذي بلا ضابط عندما يمسّ الأمر ديانتهم، ولذلك لم يرتكب الأخطاء الشائعة التي تنتج عن عدم تقدير الخطر حق قدره. والقوة التي قامت بحراسة بولس بلغ عددها ٥٠٠ رجل، فتكون نسبتهم إلى المتآمرين ١٢ : ١. وقد رتَّب كل شيء للسجين، إلى درجة إعداد الدواب التي سيركبها.

الإصحاح الرابع والعشرون

الخطاب الذي كتبه "كلوديوس ليسياس" خطاب رسمي نموذجي، بيَّن فيه أنه اتخذ الإجراءات على أكمل وجه، ولكن من الناحية الأخرى برَّأ بولس من أي تصرف شرير أو يستحق الموت. وأن كل الاتهامات ضده تتعلق بمسائل ناموسهم (٢٣: ٢٦-٣٠). وهكذا صار واضحًا تمامًا أن أول مسؤول روماني وقع بولس بين يديه، اقتنع بسرعة أن التُهم الموجهة إليه تتعلق بإيمانه، وأنه ليس هناك أية مخالفة للقوانين في سلوكه. وواضح أن الله قَصَدَ أن يكون هذا واضحًا دون أي التباس.

وبذلك، رتَّب الله أن يفشل مخطَّط الأربعين رجلاً بالرغم من أقسامهم (نذرهم) وحرمانياتهم. وصار بولس في يد روما القوية، وفي الوقت المُعيَّن سيتمكن من بسط قضيته في جو أهدأ، وأن يحمل اسم سيده أمام الأمم، كما أمام بني إسرائيل، كما تنبأ "حنانيا" (أعمال ٩: ١٥). وكان عليه أن يَمثُل أمام فيلكس الوالي.

وكانت المحاكمة أمامه تُظهر كل علامات العداء والتعصب المرير. فلم يكفِ أن يحضر الشيوخ ليقدّموا دعواهم ضد بولس، بل أن حنانيا رئيس الكهنة رأى من الضروري أن ينحدر من أورشليم ويحضر بنفسه. وهذا يبين مقدار الأهمية التي أعطوها لهذه القضية. وأيضًا استأجروا خطيبًا (محاميًا) اسمه "ترتلس"، وواضح من اسمه أنه روماني وليس يهوديًا.

وبلا شك، أنهم شعروا أن "ترتلس" سيكون أقدر على التعامل مع العقل الروماني، وبذلك مُحتمل أكثر أن يُثبت على بولس الاتهامات. وكان "ترتلس" يعرف فعلاً الأسلوب المُجدي، وبدأ بملق مُبَالغ فيه (الآية٣)، لأن المدوَّن في التاريخ المدني عن إدارة فيلكس يناقض تمامًا ما قاله. ثم أعقب هذا بتقديم أربع اتهامات ضد بولس. وكانت الاتهامات الأربعة غامضة، خاصةً الأولى وهي أنه "مُفسد" للمجتمع، والثانية أنه مهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة (أي في الأراضي الخاضعة للإمبراطورية الرومانية). وقد كان تفضيل "ترتلس" للاتهامات الغامضة، لأنه كان يعرف أنه ليس من السهل الفصل فيها على العكس من الاتهامات الواضحة (الآية٥).

وكان الاتهام الثالث والرابع أكثر تحديدًا. أما الرابع، وهو تنجيس الهيكل، فكان اتهامًا كاذبًا (مُلفَّقًا)، كما ظهر في الأصحاح السابق، أما الثالث فكان الوحيد الذي به بعض الحقيقة. فبولس كان متقدّمًا فعلاً بين المسيحيين، الذين كان اليهود يسمونهم "شيعة الناصريين". فهم فعلاً أتباع الناصري المحتقر، ولكنهم بالتأكيد لم يكونوا مجرد شيعة جديدة بين اليهود. وقد كُتِب سفر أعمال الرسل ليُرينا أنهم ليسوا هكذا بل أنهم شيء جديد تمامًا. والعالم لا يفهم أبدًا أي عمل جديد أصيل لله.

وحرص "ترتلس" أن يشوّه تصرفات الأمير ليسياس، حيث أنه أخمد عنف اليهود، وقد أيّد اليهود الحاضرون الاتهامات التي قدّمها مُمثلهم (محاميهم). لقد استخدم اليهود هذا الخطيب كأداة، وأعدّوا لهم الاتهامات، كما فعلوا مع المسيح.

وقد كان رد بولس نقضًا كاملاً لخطبة "ترتلس". فاعترف أن فيلكس له خبرة طويلة كقاضي بين اليهود. ولكن بولس ابتعد عن التملق. وتجنَّب الدفاعات الغامضة، وأنكر تمامًا ارتكابه أي إفساد، أو إحداثه أية فتنة. وأيضًا قال إن له إثنا عشر يومًا فقط منذ أن وطأت قدمه أورشليم. وبيَّن أنهم قدّموا اتهامات كثيرة، ولكنهم لم يثبتوا أي شيء منها، ولا هذا في استطاعتهم. ثم اعترف اعترافًا بسيطًا واضحًا بما يخصّه، والسبب الحقيقي لعِدائهم من نحوه، أنه باختصار يعود إلى أساسيات الإنجيل الذي ينادي به. هم يسمونه بدعة، ولكنه أساس الحق نفسه.

وبمهارة أعلن بولس أنه يؤمن بكل ما هو مكتوب في العهد القديم، وبيَّن أن كل الرجاء المسيحي أساسه القيامة، والتي تحقَّقت بالطبع في المسيح. وأنه بالتأكيد ستكون هناك قيامة للأثمة – وواضح أن هذه كانت رصاصة وُجِّهت إلى ضمير فيلكس، وأيضًا إلى كل الحاضرين – وأنه لن يبقى أحد راقدًا في قبره، ويفلت من يد الله القوية في الدينونة.

وبعد أن أعلن إيمانه بالناموس والأنبياء، وبالقيامة (الآية١٤، ١٥)، استطرد بولس ليؤكِّد أن سلوكه يتفق مع ما يؤمن به، وأن ضميره صالح (الآية١٦)، وأنه إنما قدُم إلى أورشليم في مهمة رحمة (الآية١٧)، وأنه عندما كان في الهيكل كان سلوكه سليمًا وصحيحًا تمامًا. وأن اليهود الذين من أسيا هم الذين أثاروا الشَغَب وليس هو. والآن وقد أُتيحت لهم الفرصة ليحضروا ويشتكوا عليه بالشكل القانوني، لم يظهر أحد منهم (الأيات ١٨-٢٠).

ولكن كان هناك يهود حاضرون رأوه ماثلاً أمام المجمع، وهو يعلم أنهم لم يدينوه في شيء، إلا إعلانه بإيمانه بالقيامة. وكان بولس يعرف، بلا شك، أن حزب الصدوقيين هم الذين يتعقبونه بلا هوادة، وقد حرص على أن يوضّح لفيلكس أن إيمانه بقيامة الأموات، وقد تحققت في قيامة المسيح، هو الموضوع الحقيقي للاتهام. وقد يكون أيضًا أن بولس كان يرغب أن يعترف أن الطريقة التي صرخ بها في المجمع، كانت ملومة إلى حد ما.

وفيلكس، كما نعلم من الآية ٢٤، كان له زوجة يهودية، ولذلك كان له معرفة جيدة بهذه الأمور، ولذلك أدرك في الحال أن بولس لم يخطئ في شيء. فصرف المحكمة، مُدّعيًا أنه ينتظر حضور الأمير ليسياس، وهكذا أُحبط المُدّعون مرة أخرى، خاصةً أن التأجيل كان إلى أجل غير مُسمى - حسب المصطلح القانوني. وفي الوقت نفسه أُعطى بولس قدرًا غير عادي من الحرية، والتي نستطيع أن نرى فيها مرة ثانية يد الله المهيمنة (الآية٢٣).

ولم يُسجّل هنا أن ليسياس حضر، ولكن نعرف أن فيلكس، ومعه زوجته دروسيلا، استدعى بولس، واستمعا إليه في جلسة خاصة، وفيها شَهِد بولس عن الإيمان بالمسيح. وكانت هذه فرصة عظيمة، ومن الواضح أن بولس كان يعرف نواحي الضعف والالتواء في حياة فيلكس، ولذلك ركّز على البر، والتعفف، والدينونة القادمة. ويمكن أن نعتبر أن «البر» يلخّص رسالة الإنجيل، كما تبين رومية ١: ١٦، ١٧ بوضوح؛ أما «التعفف» أو ضبط النفس (سواء في العلاقة مع الجنس الآخر، أو في التعاملات المالية) فهو ثمرة لقبول الشخص للإنجيل؛ و«الدينونة» القادمة هي ما ينتظر مَن يرفض الإنجيل. ولذلك، مع أن المُلَخّص الذي قدّمه بولس في خطابه كان موجزًا جدًا، يمكن أن

نرى أن الثلاثة كلمات تلخّص الحقائق الهامة في الإنجيل.

وكانت الرسالة مؤيدة بقوة عظيمة، «فارتعَب فيلكس» (الآية٢٥)، ولكنه أجّل الموضوع إلى "وقت آخر مناسب"، وهذا عادةً لا يأتي. وهذا ما حدث في هذه الحالة. ومع أنه مرت سنتان قبل أن يترك فيلكس منصبه ليتولاه "فستوس"، وحدثت خلال هذه الفترة عدة مقابلات مع بولس، ولكن الوقت المناسب لم يأتِ. وترك فيلكس بولس مقيدًا لكي «يُودِع اليهود مِنَّة» (أي يقدم لهم خدمة يتذكرونه بها). وكان المُعطِّل الحقيقي في قلب فيلكس هو حبّ المال. وحالته تصوِّر بشكل بارز، كيف يمكن أن يعمل الروح القدس بقوة عن طريق الإنجيل من الخارج في إنسان، ولكن شهوة متمكنة في القلب يمكن أن تخنق التأثير على القلب والضمير في الداخل، وهنا كانت الشهوة المدمِّرة هي حب المال. والتغيير الحقيقي يحدث عندما يجد عمل الروح القدس من الخارج تأييدًا وتجاوبًا مع عمل الروح القدس في الداخل.

الأصحاح الخامس والعشرون

بعد أن وصل "فستوس"، صعد إلى أورشليم بعد ثلاثة أيام، وكان العِداء ضد بولس قد بلغ حدًا، حتى إنه في الحال قدَّم رئيس الكهنة وباقي القادة اتهاماتهم ضده، وطلبوا من فستوس أن يُحضره إلى أورشليم. ومع أنه قد مرت سنوات، كانوا لا يزالوا مُصرِّين على تنفيذ قَسَمهم، والأخذ بالثأر منه. هذا هو الحقد الديني. إلا أن فستوس رفض هذا، وبذلك قام مقدّمو الاتهام برحلة إلى قيصرية. وكانت جلسة الاستماع الثانية هذه هي عمليًا تكرارًا للأولى كما نرى في الآية ٧، ٨. وكان على بولس أن يفنِّد فقط عددًا كبيرًا من الاتهامات التي لم يَقُم عليها دليل. ولم يكن لدى فستوس كما يبين الأصحاح التالي، أي معرفة دقيقة عن شؤون اليهود، ولكن لمعرفته أن اليهود شعب صعب القياد، أراد أن يكسب رضاهم، فاقترح أن يصعد بولس إلى أورشليم للمحاكمة النهائية.

وفي هذا التغيير المفاجئ من جانب فستوس، نستطيع أن نرى يد الله. فأثناء الليلة التي أعقبت الشَغَب في المجمع، ظهر الرب لبولس وأخبره أنه يجب أن يشهد له في روما، والآن يوجِّه الرب الظروف لكي يتم هذا. اقتراح فستوس هذا، دفع

بولس أن يرفع دعواه إلى قيصر، وهذا كان امتيازًا من حقه كمواطن روماني. فقد كان بولس يعرف أن التغيير المقترح من جانب فستوس لتغيير مكان المحاكمة، كان مقدّمة لتسليمه ليد أعدائه، مع أن فستوس كان يعرف جيدًا أنه لم يرتكب أي جُرم. وإذا كان فستوس قد بدأ يستسلم لهذا الضغط لكي يُرضي اليهود، فإنه سينتهي بالاستسلام لكل شيء. وقد حسم طلب بولس كل شيء. فما دام قد رفع دعواه إلى قيصر، إلى قيصر ينبغي أن يذهب. وهذه هي المرة الثالثة التي نجد فيها بولس يستند على جنسيته الرومانية، وهنا يتضح أكثر، أن الله دبر هذا ليخدم قصده ويُنفذه.

وكان حضور أغريباس وبرنيكي للترحيب بفستوس هي المناسبة ليشهد للمرة الثالثة أمام الولاة والملوك، ونرى الآن صورة للأسلوب القوي الذي قدَّم به الحق. وهو لم يَفُتْه سابقًا، حتى أمام فستوس، أن يكشف جوهر الموضوع، لأنه في كلامه أمام أغريباس عن القضية، قال فستوس إن الخلاف يدور حول «واحد اسمه يسوع قد مات و.. بولس يقول إنه حي» (الآية١٩). هذا يبيِّن أنه بالرغم من أنه كان وثنيًا وليس لديه معرفة حقيقية، كان قد استوعب الحقيقة المركزية في الإنجيل. فموت المسيح وقيامته هما أساس كل بركة، والإعلان الكامل عن محبة الله. ونحن نعرف شيئًا عن هذا، بينما لم يكن هو يعرف شيئًا عنه. إلا أن بولس جعل كل شيء واضحًا.

من الواضح من حديث فستوس مع أغريباس أن هذا كان سرًّا مُستغلَقًا على فستوس، مع أنه أدرك فعلاً جوهر القضية، ولذا فعندما اجتمع المجمع (المجلس) وأُحضِر بولس، وبدأت الإجراءات، أوضح فستوس أنه ليس لديه شيئًا مؤكَّدًا ليرفعه إلى سيده، إمبراطور روما. وكان يأمل أن أغريباس، لمعرفته الأوفى بالديانة اليهودية، قد يساعده في أن يعرف بوضوح أكثر القضية المطروحة، لكي يعرف ماذا عليه أن يقول في تقريره.

الإصحاح السادس والعشرون

في تلك المناسبة، لم يكن هناك إجراءات تمهيدية مُملة. وأعطى أغريباس الإذن لبولس في الحال أن يتكلم عن نفسه. وإذ فُكت قيوده، استطاع أن يتجاوز كل تفاصيل الدفاع عن نفسه، وأن ينتقل مباشرة إلى الرسالة التي ائتمنه الله عليها، بعد أن أشاد بمعرفة أغريباس وخبرته بشئون اليهود، والتمس أن يستمع إليه بصبر.

وبدأ بأن بيَّن أنه تربى فريسيًا، حسب مذهب العبادة الأضيق (الآية٥). وأنه يُحاكم الآن على رجاء الوعد الذي عاش عليه بنو إسرائيل منذ أن أعطى الله وعده. وأنهم مُتمسكون بذلك الوعد، الذي يُنادي بولس أنه تحقَّق في المسيح، وخاصةً في قيامته. وهكذا، من بداية خطابه وضع القيامة في المقدمة، لكونها العنصر الأساسي في قضيته. ولكن القيامة تفوق فكر الإنسان، سواء يهودي أو وثني، ولذلك طرح السؤال: «لماذا يُعَد عندكم أمرًا لا يُصدَّق إن أقام الله أمواتًا؟» (الآية٨). طبعًا القيامة شيء لا يُصدَّق إن اعتبرنا الإنسان وحده في

هذه المسألة، أما إذا أدخلنا الله فيها، الله الحي الحقيقي، يكون أمر غير معقول لو أن الله لا يقدر أن يقيم الأموات.

وفي هذا التسجيل الثالث لحادثة تغييره، نجد الرسول يركّز بشدة على المقاومة العنيفة التي لا تلين للمسيح، والتي كان يتصف بها هو نفسه في البداية. لقد كان حقًا "مُجدّفًا، مُضطهِدًا ومفتريًا" كما قال لتيموثاوس (١تيموثاوس ١: ١٣)، ولقد بلغ في هذا إلى حد الجنون **«أفرط حنقي»** ضد التلاميذ، فكان ينفيهم خارج البلاد. بهذه الطريقة كان يقاوم اسم يسوع الناصري (الآية٩). وفي منتصف النهار، والشمس تضيء بكل قوتها، حاصره نور أقوى من نور الشمس وهو في الطريق إلى دمشق، وسمع صوت الرب يكلّمه. وقد طغى هذا النور غير المخلوق على نور الشمس المخلوق.

وتَرِد هنا عدة تفاصيل هامة لم تَرِد في الوصفين السابقين (أعمال ٩؛ ٢٢). فالنور المُبهِر الذي من السماء جعل الجميع (بولس ومرافقيه) يسقطون على الأرض (الآية١٤)، وليس بولس فقط (أعمال ٢٢: ٧). كما أن الكلمات التي سمعها كانت باللغة العبرية. وهذا جدير بالملاحظة، لأنه قيل لنا قبل هذا: **«الذين كانوا معي ... لم يسمعوا صوت الذي كلمني»** (أعمال ٢٢: ٩). فمع أن الكلام مع بولس كان بلغتهم، فإنهم سمعوا صوتًا (ضوضاء *sound*) ولكن لم يميّزوا الكلمات (*voice*)، وبالتالي لم يفهموها. لقد تأثّروا جسديًا (ارتبكت حواسهم)، ولكن بولس فقط هو الذي تأثر روحيًا. والعنصر الأساسي في تغييره، ليس هو المناظر العظيمة، ولا الأصوات العجيبة، بل عمل الروح القدس الواهب الحياة. وقد ظهر يسوع لبولس فقط **«فالذين كانوا معه رأوا النور ولكن لم ينظروا أحدًا»** (أعمال ٩: ٧)، وبهذه الطريقة اكتشف بولس أن يسوع هو ربّه.

وعندما اتخذ يسوع ربًا له، قيل له بوضوح ماذا يفعل من أجل خلاصه الشخصي. وهذا ما عرفناه من التسجيلين السابقين لحادثة تغييره. ولكن هنا فقط، يذكر أنه في نفس المشهد قال له الرب بنفس الدرجة من الوضوح، أنه يعدّه ليكون خادمًا لمشيئته، بطريقة خاصة جدًا. وأنه سيشهد للآخرين بما رآه، وعن أشياء أخرى سيُظهرها له الرب (الآية١٦). وهنا فقط نعرف عن الطريقة التي أرسله الرب بها من البداية، وشروط تلك الإرسالية. وهي تدعو للانتباه، وهي تفسّر بشكل كامل المسلك المتفرد للرسول بولس الذي كنا نتابعه في الأصحاحات السابقة.

وكان قصد الله أن ينقذه من (*be delivered*) أو يفصله عن (– *taken out from among*) الشعب، وعن الأمم، لكي يكون له مكانة متميزة عن الاثنين (الآية١٧). وكثيرًا ما قيل إن كلمات الرب **«أنا يسوع الذي أنت تضطهده»** (الآية١٥)، هي أول تصريح أن القديسين هم جسد المسيح. ويمكننا الآن أن نقول إن الكلمات التي نناقشها هي أول تصريح عن المكانة المتميزة التي تشغلها الكنيسة، وأنها مدعوة من كل من اليهود والأمم. وقد بدأ بولس بنفسه هو، فوّضع في المكان الذي وُضع فيه كل الذين آمنوا بالإنجيل الذي أُرسل ليكرز به.

ولكن، كما تقول نهاية الآية ١٧، إنه مُرسل خصّيصًا للأمم. وكما سبق أن لاحظنا أنه كان مقبولاً من كثير من اليهود طالما هو يتمّم إرساليته في العالم الأممي، ولكنه عندما تحوّل عن هذه الدائرة، واتجه ليكون كارزًا بصفة أساسية لإخوته اليهود، فشل في الوصول إليهم. كم يحذّرنا هذا بشكل مُشدَّد أن سيدنا ينبغي أن يكون فوق كل شيء، وأن حكمتنا يجب أن تُساير خطته لحياتنا وخدمتنا. وكان بولس مُكلفًا أن يذهب إلى الأمم «ليفتح عيونهم» (الآية١٨).

هذا كان تحولاً جديدًا في طرق الله، لأن الأمم كانوا متروكين حتى ذلك الوقت ليسلكوا في طرقهم ويعملوا مشيئتهم. كانوا في ظلام وجهل، ولكن الآن حان الوقت لكي تتفتح عيونهم.

وإذا ما فُتحت عيونهم فعلاً، عن طريق خدمة بولس، فإنهم سيتحولون حتمًا عن الظلام وسلطان الشيطان إلى النور وإلى الله. وهذا ما نقصده بالتغيير. وهذا لا بد أن يتضمن التبكيت على الخطية، لأن لا أحد منا يستطيع أن يأتي إلى نور الله، إلا إذا عَمِل هذا التبكيت فينا، ولكن نتيجة للرجوع إلى الله (التغيير) ننال الغفران. وغفران الله هو موضوع ابتهاجنا، ليس هذا فقط بل أنه يصير لنا نصيبًا في الميراث الذي نشترك فيه مع جميع الذين قُدّسوا (أُفرزوا) لله. ويمكن أن نُسمّي الغفران البركة السلبية للإنجيل، أما الميراث فهو البركة **الإيجابية**. فالغفران هو تخلُّص من وليس مكسبًا، فنحن به نتخلص من خطايانا وحبّها، وكذلك العقوبة التي تستحقها. أما الميراث فهو ما نكسبه (نحصل عليه).

وكل هذا هو «بالإيمان بي» (الآية١٨). وهنا نجد الطريقة التي نصل بها إلى البركة. ليس بالأعمال، بل بالإيمان، والمسيح هو موضوع هذا الإيمان. والفضل ليس في الإيمان، بل في الشخص الذي نؤمن به. وهكذا، من لحظة تغيير بولس، تحدَّد له مسار حياته وخدمته، وبإعلان من الله أُعطي الرسالة التي سيكرز بها. فالآية ١٨ إذًا، تعطينا ملخَّصًا كاملاً للبركات التي يهَبها الإنجيل لمَن يقبله بالإيمان. فعينا قلبه وعقله تتفتحان على الحق، ويخرج من الظلام إلى النور، ومن سلطان إبليس إلى سلطان الله. خطاياه قد غُفِرَت، وهو يعرف ذلك، وصار له نصيب في الميراث المشترك لكل الذين أُفرزوا لله معه.

وبعد أن تلقّى هذه التوجيهات، كان بولس أمينًا لإرساليته، فبدأ من حيث كان، ووسَّع كرازته إلى الأمم، وبيَّن للناس في كل مكان كيف تكون الاستجابة للإنجيل. فيجب عليهم أن يتوبوا، وأن يطلبوا وجه الله، وأن يعملوا أعمالاً تليق بالتوبة. والتوبة تتضمَّن المجيء إلى النور الذي يمكِّن الشخص أن يرى خطاياه وأن يدينها، ثم يعترف (يقرّ) بها أمام الله. وكلما انكشفت لنا جسامة خطايانا، كلما تزعزعت ثقتنا بأنفسنا. وكلما تزعزعت ثقتنا بأنفسنا، كلما تعلمنا الثقة بالله. وبالتالي فإن الاتجاه إلى الله يأتي بعد تحوّلنا عن أنفسنا. كل هذه عملية داخلية في الفكر والقلب، لها طبيعة سرية إلى حد ما، ولكن إذا كانت حقيقية، فإنها سرعان ما تُثمر تصرفات وأعمال تتفق معها. أما إذا لم توجد «أعمال تليق بالتوبة»، فإننا نتأكد أن التوبة المزعومة ليست حقيقية. وقد أصرّ بولس على الثلاثة جميعًا. وكان يعلم بالطبع أنها ليست فقط الطريقة التي عيَّنها الله، بل أنها هي نفسها ثمرة للإنجيل، الذي نقبله بالإيمان.

هذا نفسه وبالضبط هو ما أثار عَداء اليهود، لأنه إذا كان هذا هو طريق الدخول إلى رضا الله، فإنه مفتوح أيضًا للأمم، كما هو لليهود. ولكنه أوضح لأغريباس أن ما تنبأ به موسى والأنبياء هو أساس ما يُكرز به. وأعلن آلام المسيح، وقيامته، وأنه بقيامته أنار بنور الله لكل البشر؛ ليس فقط لليهود، بل للأمم أيضًا. كم هي واضحة هذه النقطة الأخيرة في إشعياء ٤٩: ٦ «قد جعلتك نورًا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض»، وكذلك النبوات عن موت وقيامة المسيح في إشعياء ٥٣.

في الآية ٢٣ إذًا، لدينا شهادة واضحة مقدَّمة لأغريباس، وفستوس، وجميع الموجودين عن **الأساس العظيم للحقيقة التي بُنيَ عليها الإنجيل**. ويمكننا حقًا

أن نقول إن الكرازة بالإنجيل هي أساسًا إعلان لهذه الحقائق، ونحتاج نحن أن نجعلها في مقدمة كرازتنا اليوم، كما كانت في أيام بولس. ثم، كما رأينا، تقدم لنا الآية ١٨ **البركات التي يهبها لنا الإنجيل**، وتبين لنا الآية ٢٠ الطريقة التي ننال بها بركات الإنجيل.

وبالنسبة للفكر الوثني للرومان، كانت فكرة القيامة ببساطة لا تُصدَّق، كما توقَّع بولس في بداية خطابه، ولذلك فذِكر قيامة المسيح من الأموات دفع فستوس أن يعترض بصوت عالٍ. كم من مرة على امتداد القرون أُتُهِم المسيحيون بالجنون! وهنا نجد أول مثال مسجَّل للسخرية المهينة التي يرد بها الإنسان العالمي. ولكنها لم تكن إساءة سوقية (مُبتذلة) لأن فستوس كان رومانيًا مثقفًا، لكنه على الأقل نسب "هذيان" بولس إلى تطرفه في الدراسة والتعلم. بالرغم من هذا، فقد اعتبر هذا هذيانًا (جنونًا).

وكان رد بولس مؤثرًا في بساطته واحترامه لمَن يوجِّه إليه الرد. فخاطب فستوس بطريقة تليق بمكانته العالية، ولكنه أكَّد أنه على العكس «**بل أنطق بكلمات الصدق والصحو**» (الآية٢٥). أما بالنسبة لفستوس فكان كلام بولس نتيجة لقراءات خرفات وأساطير، لأن الآلهة التي كان يؤمن بها لم تكن تملك سلطانًا على ما هو بعد الموت. فالإنسان الضعيف يمكن أن يَقتل ويُرسل إلى القبر – هذا أمر سهل – لكن فقط عن الإله الحي نستطيع أن نقول «**الرب يُميت ويُحيي. يُهبط إلى الهاوية ويُصعد**» (١صموئيل ٢: ٦). فليكن هدفنا جميعًا أن نعلن الإنجيل، لكي يعرف من يسمعنا أننا «**ننطق بكلمات الصدق والصحو**».

وبعد أن أجاب بولس على فستوس، وجَّه بولس مناشدة إلى أغريباس، عالمًا أنه اعترف بإيمانه بأسفار الأنبياء، ولذلك يعرف أن ما يكرز به هو حقيقة سبق

التنبؤ بها هناك. وقد أصابت المناشدة هدفها. ونخشى أن تكون إجابة أغريباس، لم تكن اعترافًا بأنه مقتنع تقريبًا بحقيقة الإنجيل، بل كانت محاولة في شبه فُكاهة، ليتخلَّص من الموقف. فقال «بقليل تُقنعني أن أصير مسيحيًا» (الآية٢٨). ومن كلماته يتضح أن التسمية "مسيحي"، وهي التي استُخدمت في أنطاكية لأول مرة، صارت شائعة الاستخدام عندئذٍ. وبها كان يوصف التلاميذ بدقة. وبالنسبة لرد بولس، كان فيه سمو أدبي لا يفوقه شيء. فأمامنا سجين لا حول له ولا قوة، يقف وسط مظاهر العظمة والأبهة، يطلب من أجل قضاته الأجلاء، أن يكونوا مثله، ما عدا قيوده. وعندما تطلعت الملائكة إلى ذلك المشهد، رأوا وارثًا للمجد الأبدي البهي، يقف أمام عظماء الأرض، يرتدون إلى حين ملابس عظيمة في عرض لن يستمر إلا برهة قصيرة. كان بولس موقنًا أنه ليس هناك ما هو أفضل لأي إنسان إلا أن يكون مثله.

وبهذا اختُتمت الجلسة. وكان لبولس الكلمة الأخيرة، ويبهج قلوبنا أن نلاحظ كيف وقف "بولس" مملوءًا بالروح القدس، في رِفعة الدعوة العظمى التي وصلته، وهي نفس الدعوة التي وصلتنا نحن أيضًا.

ومرة أخرى أيضًا يعترف المسؤولون الأكفاء أن هذا الإنسان لم «يفعل شيئًا يستحق الموت أو القيود ... (وأنه) كان يمكن أن يُطلق ... لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر» (الآية٣١، ٣٢).

الأصحاح السابع والعشرون

لما كان بولس في أفسس (قرب ختام رحلته التبشيرية الثالثة) (أعمال ١٩: ٢١) «وضع بولس في نفسه (شُغل في روحه)» أن يرى رومية أيضًا، بعد الذهاب إلى أورشليم. والأهم من هذا، أن قصد الله له «ينبغي أن تشهد (لي) في رومية أيضًا» (أعمال ٢٣: ١١). وكنا نتتبع طرق الله من وراء المشاهد التي تحدث إلى أن «استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا» (الآية١). ومرة أخرى يستخدم لوقا ضمير المتكلم الجمع (نحن)، مما يبين أنه كان مُصاحبًا لبولس عندما بدأوا في هذه الرحلة، التي كانت مليئة بالمصائب ولكنها انتهت نهاية معجزية.

وعندما ندرس الأسباب الثانوية، كان من المُحتمل أن يندم بولس بشدة على رفع دعواه إلى قيصر، عندما صَرَّح أغريباس «كان يمكن أن يُطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر» (أعمال ٢٦: ٣٢). ولكن، عندما ننظر إلى الله يبدو كل شيء جليًا. وهكذا فإن بولس وباقي الأسرى بدأوا

رحلتهم إلى روما. ومع أن الرحلة كانت بترتيب من الله، لم يَسير كل شيء فيها بيُسر وسهولة. فعلى العكس تمامًا، سُجِّل من البداية أن «الرياح كانت مضادة» (الآية٤). وحقيقة كون الظروف مُضادة لنا، ليس دليلاً على أننا خارج مسار مشيئة الله، ولا الظروف المواتية تعني بالضرورة أننا داخل هذه المشيئة. فنحن لا نستطيع أن نستنتج من الظروف بأمانٍ، مشيئة الله من جهتنا، وما هو خارج هذه المشيئة.

واستمرت الظروف مضادة، والتقدّم بطيئًا ومُتعبًا، فالريح لم تمكنهم (الآية٧)، وحل الموسم الخطير من السنة، والذي كان من المعتاد أن تتوقف فيه الرحلات في ميناء آمن. وقد وصلوا إلى "المواني الحسنة*"، وبالرغم من اسمها، لم تكن موقعًا مناسبًا، وهنا حدث خلاف في الرأي. فالربان كان يريد أن يصل إلى فينكس (الآية١٢). بينما حذّرهم بولس أنهم سيتعرضون لكارثة وخسائر «ليس للشحن (حمولة السفينة) والسفينة فقط، بل لأنفسنا أيضًا» (الآية١٠). وكان لقائد المئة الروماني المسؤول عن الأسرى، القول الفصل في الموضوع، وبعد أن استمع إلى صوت الحكمة العالمية والخبرة، من جانب، وصوت الفهم الروحي من الجانب الآخر؛ أخذ برأي الربان.

وأي شخص عادي، بلا شك، كان سيتخذ قرارًا كالذي اتخذه قائد المئة. وعندما سكنت الريح فجأةً، وهبّت نسمة لطيفة من الجنوب، بدا كأن الله يؤيد قرار قائد المئة. ولكن مرة ثانية، نرى أن **الظروف لا تضمن توجيهًا سليمًا**. فبمجرد أن أبحروا، فاجأتهم «ريح زوبعية (عاصفة) يُقال لها أوركليدون» (الآية١٤)، فقلبت

---

* المواني الحسنة ميناء في جزيرة كريت، يقع تحت بلاد اليونان؛ بينما فينكس (الآية١٢) هي أيضًا ميناء في جزيرة كريت تقع في الجانب الجنوبي الغربي من الجزيرة. (المترجم)

كل خططهم رأسًا على عقب. لقد سلكوا بالعيان وليس بالإيمـــان، فانتهـت بهـم الأمور إلى كارثة. واتخذوا كل الإجراءات الممكنة لينجوا، ولكـــن بـــلا جـدوى، وفي النهاية تبدَّد كل أمل. ومن السهل أن نرى أن كل هـــذا يمكـــن أن يُـستخدم كمثال رمزي، فهو يمثّل جهاد النفس للخلاص، سواء من الذنب أو مـــن سـلطان الخطية. ولم ينصلح الحال إلا عندما تدخَّل الله، أولاً **بكلمتـــه** إلـــى بـولس، ثـم **بسلطانه** في تحطم السفينة نهائيًا.

ولم يظهر ملاك الله لبولس إلا بعد صوم كثير (جوع) وتبدُد الأمل. وكـــان قد انقضى أسبوعان تقريبًا منذ أن بدأت العاصفة، وحتى تلك اللحظة لـم يكـن لبولس سلطانًا أن يقـول أي شـــيء. ولكـن الآن جاءتـــه كلمـــة الله «**لا تخف يابولس، ينبغي لك أن تقف أمام قيصر. وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك**» (الآية٢٤). فحيث إن الله هو الذي تكلم، استطاع بـولس أن يـتكلم بكـل سلطان ويقين. وبعد أربعة عشر يومًا، يتقاذفهم فيها البحر الهائج، لا بـد أنـه سيطرت عليهم جميعًا مشاعر اليأس والاكتئاب. ولكن بمـــاذا تفيـد المـشاعر؟ لقد تكلم الله، وكان موقف بولس «**إني أومن بالله**» بكلمات أخرى "إنـــي أصـــدّق إلهي"، مهما كانت المشاعر.

وكانت كل احتمالات الموقف عكس ما قاله الملاك. فكون سفينة بهـــا ٢٧٦ شخصًا، تتحطّم وتُدمَّر، في زمن لم يكن فيه قوارب نجـــاة مجهَّـــزة يمكـــن أن تنقذهم، وأن ينجو كل ركابها - كان أمرًا بعيدًا عن الاحتمال، بل يصل إلى حـد الاستحالة. ولكن الله قد تكلم، فهزأ بولس من الاستحالة وقال: «**إني أؤمـن بـالله، أنه يكون هكذا كما قيل لي**» (الآيـــة٢٥). كما أن إيمانه كان قويًا، حتى إنـــه لـــم يُردد هذا الكلام في قلبه، بل قاله بصوت عالٍ، كشهادة للمئتين خمسة وسـبعين

مسافرًا الذين معه. وكانت كلماته بالضبط «يكون كما قيل لي». ولم يكن الخلاص (الإنقاذ – النجاة) قد تم بعد، ولكن بولس كان متيقنًا، كما لو كان قد حدث فعلاً.

والتعريف البسيط للإيمان هو: **"تصديق ما يقوله الله، لأن الله هو الذي قاله"**، وهذا يؤيده كلام بولس «إني أومن بالله». في ذلك الموقف كانت **المشاعر، والمنطق، والخبرة، والاحتمالات** تقف نقيضًا لِما قاله الله، ولكن الإيمان صَدّق ما قاله الله، مع أن كل شيء كان ينكره. والإيمان في قلوبنا ينطق بنفس الكلمات.

فشهادة الله لنا تتعامل مع أمور أعظم بكثير من الخلاص الزمني فقط، وهي تأتينا ليس على فم ملاك، بل من كلمة الله المقدسة الموحى بها، وهي متوفرة لنا الآن مطبوعة بلغتنا، ولكن قبولنا لها يجب أن يكون قاطعًا بالمثل. فنحن ببساطة نؤمن بالله، ولذلك نُقرّ بأن الله صادق.

والآيات من ٣٤-٣٦ تبيّن أن موقف بولس وتصرفاته كانت تجسّد كلمات إيمانه الجسور. ولذلك، نراه يقدّم مثالاً لِما أكّد عليه يعقوب في رسالته – أن الإيمان إذا كان حيًا، لا بد أن يعبّر عن نفسه بالأعمال. ولو أنه نطق بكلمات الإيمان، وبقيَ مكتئبًا ومُحبَطًا كالآخرين، لَمَا انتبه أحد إلى كلماته. إنما، بعد أن أعلن البشرى المُفرحة، كان هو نفسه مُستبشرًا، «فاخذ خبزًا وشكر الله أمام الجميع وابتدأ يأكل» (الآية٣٥). وبذلك، شهدت أعماله لإيمانه. وكان لهذا تأثير كبير على الجميع «فصار الجميع مسرورين، وأخذوا هم أيضًا طعامًا» (الآية٣٦). لم يكن قد حدث أي تغيير في الظروف حتى ذلك الوقت، ولكن التغيير حدث لأن ثقة الإيمان استقرّت في قلوبهم. فالإيمان أعطاهم **«الثقة بما يُرجى،**

والإيقان بأمور لا تُرى» (عبرانيين١١: ١). فالفصل الكتابي كله تصوير رائع لحقيقة ما هو الإيمان، وكيف يعمل.

وهو يصوِّر أيضًا كيف يجازى الإيمان، فالله صالح في كلمته. وقد نجا الجميع. وتم وعده حرفيًا وبالضبط، ليس بالتقريب، ولا بالتفاوت المسموح به في الدقة – كما هو شائع بين الناس. **فلنا أن نثق في كلمته بيقين مُطلق.** ولكن ليس معنى هذا أن نصير قَدَريين، وأن نتجاهل متطلبات التفكير السليم المعتادة. وهذا أيضًا مصوَّر في قصتنا. فبعد أن أعلن بولس أن الجميع سينجون، لم يسمح للبحارة أن يهربوا من السفينة، حيث إن وجودهم كان لازمًا. وبعد أن أكل الجميع وتقووا، خفَّفوا السفينة أكثر بإلقاء القمح في البحر (وكانوا قد سبق أن ألقوا بأثاث السفينة) (الآية١٩). فهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، مُستسلمين لقدَرهم، كما يفعل القَدَريون، بل اتخذوا الإجراءات العادية التي يتطلبها التفكير السليم، واثقين في نفس الوقت في كلمة الله. وكانت النهاية معجزية حقًا. فبوسيلة أو أخرى نجا الجميع.

الأصحاح الثامن والعشرون

ما زلنا نرى يد الله الحافظة مبسوطة على بولس ورفقائه عندما رسوا على جزيرة مالطة. ومع أن سكانها كانوا «برابرة (همجيين - حسب التصنيف الروماني لكل من هو خارج الحضارة اليونانية)»، فإنهم أظهروا عطفًا كبيرًا على مَن تحطمت بهم السفينة، وقد سارت الأمور سيرًا غير متوقع. فحدث أنهم سرعان ما اكتشفوا أن أحد الناجين من السفينة المحطَّمة؛ شخص غير عادي. كان بولس مشغولاً يساعد في إشعال النار ليستدفئوا، عندما «خرجت من الحرارة أفعى ونشبت في يده» (الآية٤). وقد فسَّر أهل الجزيرة - الذين يؤمنون بالخرافات - هذا بأن «لا بد أن هذا الإنسان قاتل لم يَدَعه العدل يحيا، ولو نجا من البحر»، ولكن عندما لم يحدث الشيء الذي توقعوه (أن يسقط ميتًا)، تحوَّلت أفكارهم إلى النقيض تمامًا، «وقالوا هو إله» (الآية٦). فالتفكير الذي يستند على الخرافات، لا يصل أيضًا إلى استنتاج سليم. أما بالنسبة لبولس فكان الأمر حَدَثًا تافهًا، بالنسبة لِما سبق أن تعرَّض له من أخطار، والتي سجَّل قائمتها الطويلة في ٢كورنثوس ١١: ٢٣-٢٨، وعندما

كتب تلك القائمة، كانت لم تنتهِ بعد. فلم يكن مثلاً قد تحطمت به السفينة، التي قرأنا عنها توًا. وقد تحطمت به السفينة ثلاث مرات قبل هذه. ويمكننا أن نجازف بالقول، إنه ليس هناك كثيرون تحطمت بهم السفينة أربع مرات ونجوا، حتى لو كانوا بحارة محترفين، ولم يكن بولس كذلك.

وقد أظهر مقدّم الجزيرة اهتمامًا وعطفًا كبيرًا بهم في احتياجهم. وقد استطاع بولس أن يكافئه عن حسن صنيعه بالصلاة وشفاء والده. ولا نقرأ عن أن بولس شهد هنا، ولكن لا بد أن صلاته بيَّنت للجميع أن القوة الشافية التي يمارسها ليست له، ولكن مصدرها الله. وعندما وجد سكان الجزيرة أن قوة الله تواجدت وسطهم، لم يتوانوا عن أن يطلبوها لشفاء أجسادهم. وعندما طلبوها وجدوها. كل هذا أدى، برحمة الله، إلى وقت راحة بعد أربعة عشر يومًا في امتحان عسير، بل إلى وقت تكريم (نالوه من حاكم الجزيرة وسكانها) استمر ثلاثة أشهر. لقد سجل الرسول في فيلبي ٤: ١٢ **«أعرف أن أتضع وأعرف أيضًا أن أستفضل»**. وقد كانت فترة الثلاثة شهور هذه فترة استفضال (وفرة).

ويمكن أن يُقال الشيء نفسه عن باقي الرحلة، عندما استأنفوها. فقد سارت الأمور مواتية، وعندما وصلوا إلى "بوطيولي" (في النصف تقريبًا من الساحل الغربي لإيطاليا)، وجدوا إخوة هناك، تمسّكوا أن يبقى بولس معهم سبعة أيام.

من الواضح أنه في ذلك الوقت كان قائد المئة قد اتخذ اجراءات تسليم السجناء الذين معه، أما بولس فقد خصَّه بحرية أكبر «فأذن له أن يُقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه» (الآية١٦). وفي رحلته على البر أيضًا، جاء إخوة للقائه، بعد أن سمعوا بوجوده، «فلما رآهم بولس، شكر الله وتشجع» (الآية١٥).

فمع أنه كان إنسانًا روحيًا، وفي اتصال دائم مع الله، وفي اتكال عليه، لم يكن في غنى عن أن يشكر الله، وأن يتشجع بحب القديسين والشركة معهم، الذين ربما كان مستواهم الروحي أقل منه. من الجيد أن نرى هذا، وهو مشجع لنا جدًا. فلنحذر أن نحتقر، أو حتى أن نقلل من قدْر قيمة شركة القديسين.

وهكذا، وصل بولس إلى روما. وقد كانت ظروفه مختلفة تمامًا عن تلك التي كان يتطلع إليها عندما كُتبت إليهم رسالته مُقدَّمًا، عن ما ينوي أن يفعله (انظر رومية ١٥: ٢٢-٣٢)، ولكنه جاء إليهم فعلاً، «**بفرح بإرادة الله**»، وفي «ملء بركة إنجيل المسيح». لقد كانت يد الله لا تزال تظلِّله، لأنه مع أنه كان سجينًا، سُمح له أن يعيش تحت الحراسة (مُحدَّد الإقامة)، وهذا أعطاه فرصة حرية الخدمة والشهادة.

وبعد ثلاثة أيام فقط من وصوله، استطاع أن يستدعي وجوه الجالية اليهودية في روما، وأن يعرض عليهم قضيته. وأوضح بجلاء أنه لا يريد أن يشتكي بشيء على أُمته، وأن كل جرمه في عيون اليهود «من أجل (يتعلق بـ) رجاء إسرائيل» – أي المسيا الموعود به من زمن بعيد. فاعترف وجوه اليهود من جانبهم بجهلهم بقضيته، ولكنهم كانوا يعرفون عن المسيح الذي ينادي به بولس، وأن الإيمان به يعني الانضمام إلى «مذهب ... يقاوَم في كل مكان»، أي ليس بين اليهود فقط، بل بين الأمم أيضًا؛ فالمسيحية الحقيقية لم تكن أبدًا محبوبة، ولن تكون. فهي تكشف حقيقة الطبيعة البشرية.

ولكنهم أظهروا رغبتهم أن يسمعوا ما يريد بولس أن يقوله. وهكذا، حدّدوا يومًا، وحضر كثيرون، وليوم كامل استطاع بولس أن يشرح، ويشهد، ويُقنع.

وكان موضوع حديثه ملكوت الله ويسوع، الذي قام عليه هذا الملكوت وارتكز، وكل ما قاله كان يستند على ناموس موسى والأنبياء، لأن فيها كانت كل الرموز والنبوات. والثلاثة أشياء التي فعلها بولس جديرة بالملاحظة. فأولاً، شرح الكتب المقدسة، مُبيّنًا ما تقوله، ومؤكدًا سلطانها. ثم شهد عن يسوع، مُبيّنًا بلا شك ما عرفه هو شخصيًا عن مجده في السماء، ومُبيّنًا كيف تمّم كل ما قالته الأسفار المقدسة عن مجيئه متواضعًا. وأخيرًا، وجّه جهده لإقناع سامعيه بصدق كل ما سبق. لم يكرز بولس، بما يُسمى إنجيل العرض الاختياري، بل اجتهد بكل غيرة وحب أن يصل إلى قلوب السامعين، وأن يضمن أن يستجيبوا بإيمان. فلنحرص على أن نقلّده في هذا، وعلينا أن نتذكر أن رغم أن الروح القدس لا يعجز عن أن يعمل بتأثيره في قلوب الناس، فإنه كثيرًا ما يُسَرّ أن يعمل عن طريق إقناع خدام الله، المملوئين بالحب والغيرة.

وهذا ما حدث هنا، فبينما يُسجل أن «**بعضهم لم يؤمنوا**» إلا أن البعض اقتنع بما قيل (الآية٢٤). هذا ما يحدث تقريبًا دائمًا عندما يُكرز بالكلمة. وفقط في سفر الأعمال – عندما بشر بطرس كرنيليوس – آمن الجميع، ولكن ليس هذا هو المعتاد، لأنه في اللحظة الحالية الله يدعو مختاريه من اليهود ومن الأمم.

وقد وجّه بولس كلمة أخيرة لليهود الذين لم يؤمنوا، قبل انصرافهم، مُقتبسًا النص الكتابي من إشعياء ٦: ٩، ١٠ والتي اقتبسها الرب يسوع نفسه في متى ١٣: ١٥، واقتبسها يوحنا في أصحاح ١٢ من إنجيله: «**اذهب إلى هذا الشعب، وقُل ستسمعون سمعًا ولا تفهمون، وستنظرون نظرًا ولا تُبصرون. لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها، لئلا يبصروا**

بأعينهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم». هذه العملية المحزنة والرهيبة لتقسية القلب والموت الروحي، كانت موجودة حتى في أيام إشعياء، بسبعة قرون قبل المسيح. وقد ازدادت عندما كان المسيح على الأرض، والآن وصلت إلى المرحلة الأخيرة. وقد أعلن بولس هذه الكلمات، وهو يدرك أنه في عصر (تدبير) الإنجيل، فإن يوم إسرائيل كأمة قد انتهى. فهم كأمة قد عميت عيونهم، وفقدوا الفهم لأمور الله، مع أنهم حاذقون بالنسبة لأمور العالم. هذا لا يتعارض بالطبع مع حقيقة أن الله لا يزال يدعو البقية بمقتضى اختيار النعمة، كما تبين رومية ١١.

وجدير بالملاحظة أنه في اقتباسه هذا النص، يقول بولس: «إنه حسنًا كلّم الروح القدس آبائنا» (الآية٢٥)، ولكن عندما نعود إلى إشعياء ص٦ نجد النبي إشعياء يقول بخصوص هذه الرسالة «**ثم سمعت صوت السيد قائلاً ...**» (إشعياء ٦: ٨)، مُشيرًا إلى يهوه رب الجنود، أما في يوحنا ١٢: ٤١ فنجد هذا التطبيق: «**قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه**»، وعلينا فقط أن ننظر إلى الآية السابقة لنكتشف أن «**مجده**» و«**عنه**» يعودان على يسوع. كم هو من الواضح إذًا، أن يهوه رب الجنود، هو واحد مع يسوع، والروح القدس – ثلاثة أقانيم، ولكنهم إله واحد.

وتقدِّم لنا الآية ٢٨ الكلمات الأخيرة لبولس، كما سُجِّلت في سفر الأعمال. وهي هامة جدًا، لأنها تعطينا الموضوع الذي وجَّهنا السفر إليه، فهو يعلن كرسالة مُحدَّدة من الله أن خلاصه قد أُرسل إلى الأمم نتيجة لعمى وقساوة اليهود، ويُضيف «وهم سيسمعون». لا يعني هذا أن جميعهم سيفعلون هذا،

بل بالحري أنه كنقيض لليهود، سيكون لهم أذن صاغية. وهذا، شكرًا لله، قد ثبت صحته على مرّ العصور.

عندما تكلّم الرب إلى المرأة الفينيقية عن البنين والكلاب، فهمت المرأة المسكينة الوضع، وقبلت أن تأخذ مكان الكلب الأممي، ولكن تمسكت بأن الله في صلاحه لن يمنع عنها بعض فُتات الرحمة. وقد كانت على حق؛ فمدح الرب إيمانها الذي وصفه بأنه عظيم، وأكرمها بأن استجاب لطلبها. ولكن نجد هنا شيئًا أكثر عجبًا. فإذ رفض البنون الوليمة الطيّبة المُقدَّمة لهم واحتقروها، أُعطيت الوليمة كلها - وليس فُتات الرحمة فقط - للكلاب. وكما يبين بولس في رومية ١١: ١١، ١٥ «**زلتهم غنى للعالم، ونقصانهم غنى للأمم ...، ورفضهم هو مصالحة العالم**». ليس معنى هذا أن كل العالم قد صولح، ولكن أن الله قد توجَّه بقلبه الآن إلى العالم، مقدِّمًا خلاصه إلى جميع الناس.

كان بولس لا يزال سجينًا، ولكن سُمح له بأن يستأجر بيتًا، وأن يُقيم فيه، وأن يستقبل كل مَن يريد أن يقابله. ولذلك، كانت لديه الفُرص للشهادة، ولم تقيَّد كلمة الله. وبقدر ما يُخبرنا هذا السفر، نعرف أنه قضى سنتين كاملتين يكرز بملكوت الله، ويعلِّم الأمور المختصة بالرب يسوع المسيح - دون عائق. وقد دبَّرت عناية الله أن تتأجل محاكمته، وبذلك فُتح له باب للكلمة. وخلال هذه الفترة تغير "أنسيمس" وبالتأكيد آخرون أيضًا، وكُتبت مجموعة من الرسائل أيضًا*.

* وهي المعروفة برسائل السجن: أفسس (المسيح رأس الكنيسة)، كولوسي (الكنيسة جسد المسيح)، فيلبي (الفرح وسط الضيق)، فليمون (وهي رسالة شخصية، فيها تطبيق للتعليم المسيحي). أما الرسالة الثانية إلى تيموثاوس فكُتبت في فترة السجن الثانية. وكان سجنًا حقيقيًا قاسيًا، وليس تحديد إقامة، وانتهى باستشهاد الرسول وتُضم عادةً للرسائل الراعوية.

وبختامنا** لسفر الأعمال، ننتهي من تاريخ الرسل؛ وعندما ننتقل إلى رسالة رومية نبدأ في **تعليم** الرسل، وهو التعليم الذي يمكّننا من **فهم مغزى** التاريخ، بينما يمكننا التاريخ أن نقدر **سلطان وثِقل** (أهمية، تأثير) التعليم.

** لا يذكر سفر الأعمال استشهاد بولس. ولا يُختَم السفر لكي لا يوحي بأن خدمة الكنيسة انتهت بموت بولس، ولا أن عمل الروح القدس في الكنيسة قد توقف.

صدر من هذه السلسلة ايضا:

دراسة في **رسالتي التبرير** (رومية، غلاطية)

دراسة في **الرسائل المبكرة** (تسالونيكي الأولى والثانية، كورنثوس الأولى والثانية)

دراسة في **رسائل السجن** (أفسس، فيلبي، كلوسي، فليمون)

دراسة في **الرسائل الراعوية** (تيموثاوس الأولى والثانية، تيطس)

دراسة في **رسالة العبرانيين**

دراسة في **الرسائل الجامعة** (يعقوب، بطرس الأولى والثانية، يوحنا الأولى والثانية والثالثة، يهوذا)

دراسة في **سفر الرؤيا**

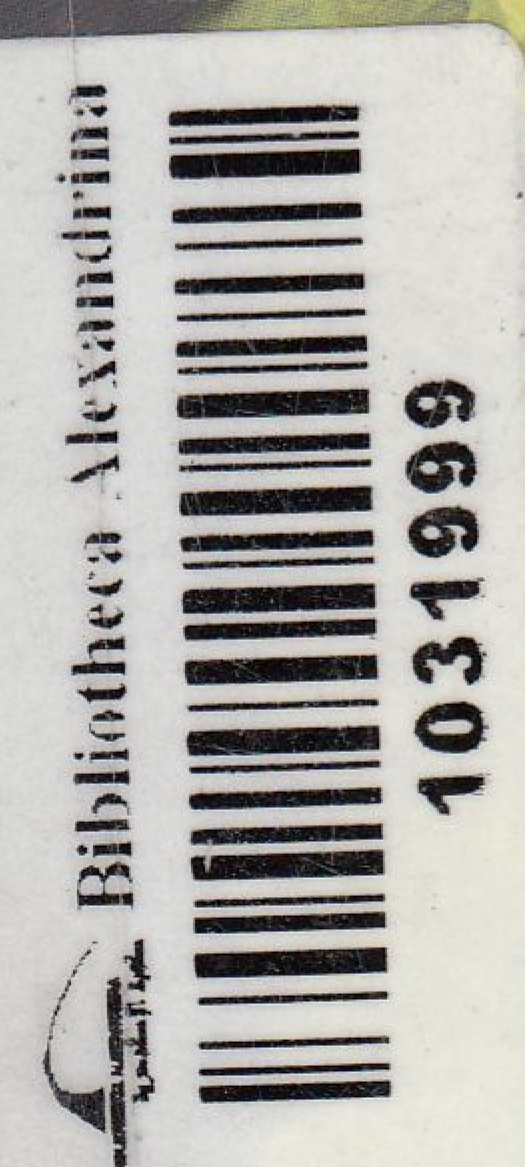
دراسة في سفر أعمال الرسل

هذه السلسلة "دراسة في"

هي شرح لأسفار العهد الجديد لرجل الله الفاضل ف.ب. هول، أحد خدام الرب في منتصف القرن العشرين. وهو يُعتبر بحق أحد عطايا المسيح لكنيسته، إذ أنه مُعلِم مُقتدِر في الكتب، وقد أعطاه الرب بصيرة ثاقبة - يندر أن نجد نظيرها - في فهم كلمة الله؛ وكمعلم موهوب كان يعرف أن يصيغ فكرته بسهولة ويُسر. وتتميز كتاباته بصفة عامة بالاختصار والشمول، فهو من الناحية الواحدة يصل إلى فكرته من أقصر الطرق، دون إطالة لا لزوم لها، كما أنه عادة لا يتجنب أية معضلة في الأصحاح إلا ويتحدث عنها ويشرحها بتمكّن.

هذا الكتاب: " سفر أعمال الرسل"

سفر أعمال الرسل، يحدِّثنا عن فترة متميزة من الزمن بعد ارتفاع ربنا يسوع، فيقدِّم لنا ما استمر "يسوع يفعله"، بسكب الروح القدس من عند الآب، لكي يعمل بواسطته في الرسل والآخرين،وكذا ما استمر "يعلِّم به" عن طريق الرسل. وهو إذ يحدِّثنا عن تاريخ الرسل؛ يهيئنا لأن نفهم تعليم الرسل في الرسائل،ونقدِّر سلطان وتأثير هذا التعليم. والكتاب يجول بنا بين سطور هذا السفر القيّم المفيد فاتحاً لنا آفاقًا مباركة لفهمه.






9 789773 212384